الى القارئ

مهما أعدنا القول وأكدنا على ضرورة تونسة برامج التعليم والنضال من أجل ثقافة قومية لضمان مناعة الأمة ووقايتها من المسخ والتبعية ، فلن نوفي الموضوع حقه ، لأن داء التفتت والاضمحلال الذي يهدد الكيان القومي ، كالسرطان ، يدب متسترا ، متقنعا ، فيغدر غدرا ، وكالأفيون يبلد الحس ويسمم الروح وهو يوهم بالقوة والنشوة التي تؤول الى الفناء .

وكما تسيطر الدول العظيمة ـ في الشرق والغرب على السواء ـ على الشعوب الأخرى ، فتبسط نفوذها الاقتصادي والمالي ، فانها تسعى كذلك الى الهيمنة الفكرية والاشعاع الثقافي ، منتحلة براق الشعارات وزائف الغايات ...

وبقدر ما يكون التعاون الدولي مثمرا وإيجابيا لكل الأطراف عندما تكون للشعوب شخصية ثقافية ومفكرون وعلماء وفنانون شاعرون بأصالتهم ، محافظون على طرافتهم وخصوصيتهم ، واعون لحقيقة الحوار وما يقتضيه من أخذ وعطاء ويفرضه من احترام وتقدير متبادل ، فانه ينقلب الى عملية غزو وسطو عندما تضغط ثقافة الدولة القوية على ثقافات الشعوب الأخرى بدعوى التمدن والمعاصرة وضرورات « الفن السامي » و « الثقافة الراقية » ...

على أن المسؤولية ـ فالذنب ـ لا تقع دائما ـ والحق يقال ـ على الدول الكبرى بل كثيرا ما يحدر أفذاذ المثقفين والمفكرين فيها من مغبة التقليد الذي سرعان ما تقع فيه « النخبة » المنتسبة الى بلدان العالم الثالث ، فتدفن امجاد تاريخها وتتنكر لقيمها الأدبية وخصائصها الحضارية وترتدي ما تخيطه لها الأيادي الأجنبية من أزياء لتظهر في مظهر التقدم و « الأناقة » الثقافية ! ولعل رئيس الجمهورية الفرنسية ـ وهو الكاتب والأديب المعروف ـ هو آخر من ذكر ـ منذ شهرين تقريبا وبمناسبة تدشين بناية جديدة لمنظمة اليونسكو بباريس ـ بأنه لا تفاضل بين الثقافات وأن التعاون الثقافي الدولي يجب ألا يسعى الى التوحيد بل عليه أن يشجع على التنوع ومساعدة كل المدنيات على النمو حتى يثري بعضها بعضا .

فاحترامنا لأنفسنا وإيماننا بماهية التعاون البشري والحضارة الانسانية واستيعابنا لأبعاد معركتنا الفكرية وصراعنا من أجل الحياة الكريمة تفرض علينا جميعا أن نستقي من ينبوع حياة الأمة وروحها ونعتز بتراثنا ونرسخ الوعي بجذور أصالتنا وعراقة وجودنا .

وليس كالتربية والتعليم سبيل الى خلق أجيال تونسية صميمة ولا تربية ولا تعليم أصيلين من دون برامج متونسة وتمسك بأقدس مقومات هذه الأمة .

فعسى أن يوفق الأساتذة والمربون ، العاملون منذ شهرين ضمن لجان مختصة، إلى إعادة النظر في مراكز اهتمام البرامج ، وإحكام توزيع المواد على مختلف سنوات درجات التعليم الثلاث ـ وخاصة بالنسبة للغة العربية والتاريخ والجغرافيا والتربية الدينية والمدنية واللغات الحية ... وأن يحسنوا اختيار النصوص على أساس الاعتدال بين الحرص على الأصالة القومية وضرورة التفتح على الدنيا ، وعسى ان يضبط مخطط للتعريب يراعي الشروط الكفيلة بالحفاظ على المستوى ، بل يعمل على الرفع منه .

هذا رجاؤنا نقدمه بمناسبة إصدار آخر عدد للسنة الخامسة عشرة لهذه المجلة التي ستواصل النضال من أجل أن تعود لهذه الأمة روحها .

وهذا نداؤنا نتوجه به الى رجال التعليم الذين لا نخالهم إلا في مستوى الرسالة المقدسة التي حملهم إياها تاريخ تونس المعاصر فحملوها !

« الفكر »

الى روح الفاضل*

شعر : أحمد المختار الوزير

كنتُ أرجُو شفاءَهُ ، ولقاهُ   أينَ ذاك الرجَا . وأينَ جدَاهُ
غُصص هذه . ودمع بجفني   مالذَا الموت لَجّ ، ما أقسَاهُ
غُلواء للموت ، يطغى به الموتُ   عنيدا ، مُضريًا بَلواهُ
بُترتْ كفُّه ، وحطم سهم .   مُذ براهُ ما حادَ عن مرماهُ
بُترت كفُّه ، تحدتْ بأساهَا.   عَزيزا ، تنَزّهتْ كفّاه
مدّهَا كالظلام . دونَ ضُحى وجه   سَنيّ ورَامَ أن يَغشَاه
ظُلّة تلك . من تُرابٍ على الجسم   تُلاشي حجَابهَا ذكرَاه

* * *

كفكفوا من دموعكم وانظروا   "الفاضلَ" انى بناظريّ أرَاه
يهزِمُ الموتَ . هَازئا . من تماديه   ضَليلا ، في صَوْله . في عمَاهُ
وجهُه ذاك . مُشرقا . من سَمَا   الفردوس يبدُو . لله ما أسنَاهُ
زَهرة شَابهَا الحيَا . وزَهَاها   عبهريّ . من التُّقَى . أندَاهُ
وجلال . من اليَقين . ونُور   فوقَ نورٍ . ممّا حَبَاهُ اللهُ
آنظروه . ولتَسمعوه يُحَيّي .   من قريبٍ . يجيبُ من حَيّاهُ
في رَضيّ من التّهلّل . والبشر .   والْفٍ . تُشيعُه عينَاهُ
وبيَان سَمح . كما مَرْمَرَ الماءَ   بروض أنسامُه . وصَفَاهُ
اِيْ وَربّي . كَأنّني أسمعُ الصّوتَ   بليغا . من هَهنَا مأتَاهُ

(*) قيلت هذه القصيدة فى أربعينية الفقيد العالم الاديب محمد الفاضل بن عاشور يوم الجمعة 29 ماى 1970 .

يـا لَضُعفي . اذا بكيتُ عليه . ... يـا لَضُعفي . انْ هدّني مَنْعَاهُ
وضلالي . فليسَ ميتٌ كميت ... يـومَ يَلْقَى بعطفه مَثْواه

* * *

كفكفوا من دموعكم انّ للفاضل ... فينـا بَيَانَه ونُهَاهُ
وصحابا . من عترة العلم . غُرّا ... قد حَبَاهم أنوارَه وهداهُ
هم بنُوهُ أحرامُهم مطلعُ المجد ... وفيهم من خُلْقه أسماه
منطق صائب . ورأي حصيف ... ومضاء . إلى العُلى ، مُنتهاهُ

* * *

أيّها الطاهر(*) العظيم السّجايا ... أنتَ . فينا . لذا المصاب . عزاهُ
قد رأيناك راضيا . فعرفنا ... كيفَ يسمو اليقينُ في مَعناهُ
يعصِمُ الحزنُ بالضّيف ويَبْقى ... ثابتَ الركن والجَنانُ سواهُ
كفكفوا الدمعَ . يا حزاني فمثوى ... من فقدناه ما حباه الله
جنّةً عرضُها السماواتُ والارض ... ونُعمى جوارِه ، ورضاهُ

أ٠ م٠ و٠

(*) الشيخ الطاهر بن عاشور ، والد الفقيد ٠

اللغـة العربيــة

بقلم : الحبيب الشاوش

لا يزال مشكل اللغة العربية ـ الفصحى والدارجة واللغة الثالثة ـ يشغل بال الكثيرين من مثقفينا فى تونس ، وقد تناوله بالبحث عدد من رجال الفكر والادب ورجال التعليم والطلبة ، والقيت فى شانه محاضرات وكلمات وبسطات ونظمت ندوات وسهرات وأسمار ، سواء بدور الثقافة أو بالنوادى الادبية أو محلات اللجان الثقافية وغيرها فى شتى أنحاء الجمهورية ، ولا سيما منذ الاستقلال الى اليوم ٠

وإن الدوافع التى ركز عليها أغلب من تكلم أو كتب فى اللغة العربية من حيث وضعها التاريخى القديم والحديث وامكانياتها ومكانتها واهميتها فى حياة الامم الناطقة بها ـ ومن بينها تونس ـ تنقسم الى ثلاثة :

أولا : أن العربية هى لغة القرآن ، يحق لنا أن ننكب على درسها ونعتز بها باعتبارنا مسلمين ٠

ثانيا : أنها عنصر من عناصر ثقافتنا وقوميتنا يحق لنا كذلك أن نبحث عن طرق تنميتها ووسائل إحيائها وإنعاشها وإلحاقها بركب اللغات العالمية العصرية المعترف بها والمتعامل بها فى المحافل الدولية ٠

ثالثا : أنها ـ إذا صح التعبير ـ « مشكل آجتماعى » بالنظر الى أن المجتمع التونسى مثلا ـ وكذلك الشأن بالنسبة الى الجزائر أو المغرب الاقصى على سبيل المثال ـ يشتمل على ثلاثة أصناف من المثقفين باللغتين العربية والفرنسية ، وصنف المثقفين باللغة الفرنسية وصنف المثقفين باللغتين العربية والفرنسية ، على أن كل صنف من هذه الاصناف قد يملك مبادىء اللغة الاخرى بالنسبة الى اللغة التى حصلت بها ثقافته ، لكنها مبادىء فى معنى النبذ الطفيفة الخفيفة التى لا تغنى ولا تسمن من جوع كما يقال ٠

ونعود اليوم الى اللغة العربية لنبدى فى شأنها بعض الاراء والخواطر ، مساهمة متواضعة منا فى ايجاد الحلول التى نراها صالحة فى العاجل وفى الآجل للمشكل أو المشاكل التى تثيرها باعتبارها لغة قديمة ولغة حديثة ولغة عصرية

حية تريد أن تجارى اللغات العالمية الاخرى فتصبح أداة التعبير والتاليف فى المجالات الاقتصادية والعلمية والتقنيـة خـاصة فضـلا عن المجـالات الادبيـة والفلسفية وميادين العلوم الانسانية الاخرى إطلاقا ٠

وعندما أقول هذا فكأن اللغة العربية ما زالت متـأخرة عن ركـب اللغـات الحضارية العالمية العصرية أو كأنها ما زالت عاجزة عن أداء رسالتها الثقافية والتعليمية والتأليفية فى أعلى مستوى ، بل قل إن هذا ما قد يتبادر الى ذهن السامع أو القارىء لهذه الاسطر من أول وهلة ٠٠٠ والمشكل فى الحقيقة ليس فيما ذكرت الآن وانما هو فى تزاحم اللغة الفصحى واللغة العامية الدارجة فى مختلف ميادين النشاط أو الحياة اليومية ، سواء فى الاذاعة والتلفزة أو المنزل أو الشارع أو حتى التأليف الادبى كما سنرى ٠

وإن ما نعتزم النظر فيه بهذا الصدد هـو ، من نـاحية ، وضـع الفصحى التاريخى ، قديمه وحديثه ، ثم وضع اللغة الدارجة وامكانياتها ومكانتها فى حياتنا اليومية ، ثم النظر فى مستقبل العربية وتطورها أو بعبارة أخرى أيـة لغة نريد ، فصحى مبسطة أو دارجة مهذبة أو لغة ثالثة هى بين الاولى والثانية؟

1. **الفصحى :** يرى الدارسون ان الفصحى لا يمكن ان نغض عنها الطـرف وانه لزام علينا أن نوليها كل اهتمام وعناية وألا نترك الدارجة تزاحمها أو تسابقها وذلك فى ميدان التأليف خاصة ومختلف ميادين العمل والنشاط لان الفصحى هى لغة القرآن ولغة القواميس والمناجد ولغة الآثـار الادبية قـديما وحديثا ، هى لغة عبد الحميد الكاتب وسهل بن هارون وآبن المقفع والجـاحظ وأبى حيان التوحيدى وآبن شرف وآبن رشيق والحصرى وآبن شهيـد وآبن خلدون كما هى لغة المسعدى وطه حسين ، هى لغة القصة اليـوم والمسرحية والنقد الأدبى ولغة الخطابة فى المساجد والمناسبات الرسمية ٠٠٠

ثم لانها لغة العلوم والفلسفة وعلم الكلام والعلوم الدينية قديما بالخصوص ، ثم هى لغة الصحافة المكتوبة والمذاعة والمتلفزة حديثا ولغة التعليم فى المدارس والمعاهد والكليات ولا سيما بالنسبة لحصص اللغة والنحو والادب العربى فى كلية الاداب والعلوم الانسانية ، أو بالنسبة لبعض المواد الاخرى مثل التربية الدينية والمدنية فى مرحلتى التعليم الابتدائى والثانوى ، الخ ٠٠٠

لكن هل هى لغة العلوم والتقنيات الحديثة وهل هى لغة العصر فى ميدان البحوث والاكتشافات العلمية والتقنية العصرية ، أو ـ بعبارة أخرى ـ هل يمكن للعربية أن تكون أداة تبليغ وتأليف اليوم فى مثل هذه الميادين ؟

إن الجواب على هذا السؤال ، أو إن ما يعترض العربية من مشاكـل الاداء

والتعبير فيما ذكرت من مجال البحوث والاكتشافات العلمية والتقنية ، يعرفه أولا وبالذات كل من يعمل بمراكز التعريب والترجمة أو بالمجامع العلمية خاصة ، فأهل مكة أدرى بشعابها ، ولقائل أن يقول إن هناك حلا ... وهو الترجمة ، والرأى عندى أن الترجمة من الحلول الضرورية لكن غير الكافية لان المسألة ليست فى نقل ما يصنفه الغير فحسب والاخذ عن الاقطاب من البحاثة والعلماء ، فلئن بدا هذا ضروريا فهو لا يحل مشكل اللغة العربية لجعلها لغة عصرية عالمية تناطح السحاب والنجوم أو قل القمر على سبيل الواقعية ، كما فعلت اللغة الانقليزية بالولايات المتحدة الامريكية اليوم ، فتكلم بها الرواد على سطح القمر ، وفى هذا من الاشارة والرمز ما يكفى تعبيرا عما نريد وتبليغا لما نقصد ...

وفى سياق ما ذكرنا آنفا ، أصبحت اللغة العربية كذلك لغة « يتعامل بها » باليونسكو ، مما يزيد مشكل النهوض بها و « تعصيرها » حدة وأهمية .

II. **اللغة الدارجة : وضعها وامكانياتها :**

إن نظرة الاغلبية الساحقة من المثقفين الى اللغة العامية هى نظرة « آحتراز » إن لم نقل نظرة آزدراء وتمنع ، رغما عن كونها لغة التخاطب اليومى فى المنزل والشارع والادارة وفى أروقة المدارس والمعاهد والكليات ، فهى إذن اللغة السائدة بين الناس دون الفصحى التى ميدانها محصور فى فئات المتعلمين والمثقفين ، والسبب فى آنحصار ميدان الفصحى ذلك ، واتساع نطاق العامية فى تونس مثلا هو أن الآباء والأجداد لم يدرسوا ـ بكليتهم ـ اللغة العربية الفصحى ولم يتقنوها حتى تصبح بينهم لغة التخاطب ، و « التعامل » اليومى ، وهذا راجع الى أن تعليمها لم يكن منتشرا كما هو راجع بوجه عام الى الوضع التاريخى القديم الذى كانت عليه البلاد فى مختلف عهوده وأطواره ، ابتداء من العهد القرطاجنى الى ما قبل الاستقلال . وقل ذلك بالنسبة الى الكثير من البلدان الناطقة بالعربية ، ما قرب منها أو ما بعد ...

أما فيما يتعلق بوضع اللغة العامية وآمكانياتها فى ميدان التأليف اليوم بتونس فنلاحظ أنها اندرجت منذ زمان فى ميدان التأليف ، من ذلك مثلا المسرحيات الاذاعية أو التلفزية التى غرضها التسلية أو التربية الاخلاقية بدرس مواضيع آجتماعية ، كما اصبحت لغة النشرة الاخبارية الخاصة بعموم الناس أو التعليق باللسان الدارج ، ومن هنا يتسنى لنا القول إن اللغة الدارجة قد أخذت مكانها بعدد كبير من برامج الاذاعة والتلفزة ، ففرضت نفسها فرضا بحكم الواقع أى الوضع الحالى للمجتمع التونسى الذى ما زال فى حاجة الى الدارجة ليكون مطلعا على ما يجرى فى البلاد والعالم من أحداث وأخبار ، الخ ...

ثم إن اللغة العامية قد آكتسحت من ناحية أخرى ميدان التـأليف الأدبى وخاصة القصة ، ونذكر فى هذا الشأن على سبيل المثـال محـاولات الاديبين محمد العروسى المطوى والبشير خريف وغيرهما ممن اقحم اللغة الدارجة الى جانب الفصحى فخللها بها بآعتبار اللغة العامية قادرة أحيانا على أداء المعنى المطلوب بأكثر واقعية وحيوية من الفصحى .

وإذانظرنا فى مستقبل اللغة الدارجة وخاصة فى المجال الذى تستعمل فيه اليوم نرى أن نشر التعليم سيكون له مفعوله ـ أكثر فأكثر ـ فى تهذيب هذه اللغة وصقلها ويجدر أن نلاحظ فى هذا المجال أن اللغة الدارجة التى اصبحنا نتكلم بها اليوم ليست نفس اللغة التى كان يتكلم بها آباؤنا وأجدادنا منـذ ثلاثين سنة ، وأنها قد نمت وتهذبت ولا سيما بعد الاستقـلال أى فى بحـر الخمسة عشر عاما الأخيرة ، والسبب فى ذلك راجع ـ كما قلنا ـ من ناحية الى نشر التعليم ومن ناحية أخرى الى تأثير خطب الرئيس وخطب المسؤولين وتأثيرها فى الناس وطبع لغتهم بطابعها ومن جهـة ثالثـة الى تأثيـر الحصص الاذاعية ثم التلفزية التى تعددت وتنوعت .

ومن شأن كل هذه العوامل أن تتفاعل وتساعد على تهذيب اللغة الدارجة وتقربها من الفصحى شيئا فشيئا على مر السنين .

اللغة الثالثة : ومما لا يجب إهماله أن ما نسميه أو ما سماه بعضهم باللغة الثالثة كانت هى أيضا محاولة جرت فى ميدان التـأليف الادبى وخاصة منه المسرحى وقد ظهرت هذه البادرة فى مسرحيات توفيق الحكيم ومحمود تيمور ، وحقيقة هذه اللغة أنها بين الفصحى والعامية ، لها علاقة بالفصحى من حيث مراعاتها لقواعد النحو والصرف والرسم المتعارفة ، ولها صلـة بالعـامية من حيث بساطة ألفاظها وتراكيبها وحتى النطق بها بالوقوف على السكون مثلا وهى محاولة طريفة يمكن تعميمها لحل مشكل الفصحى والعامية أى انتهـاج التأليف والتعبير بلغة سلسة طيعة يفهمها الخاص والعام ، لكن انتشار مثـل هذه اللغة الثالثة متوقف الى حد كبير على انتشـار التعليـم واكتساحـه كل أصناف المجتمع ، الشأن فى هذا المجال شأن الفصحى أو يكاد ...

III. كيف ننهض باللغة العربية ؟

ليس الحل فى الترجمة فحسب إذ هى كما رأينا ضرورية لكن غير كافية ، وإنما الحل فى تكوين إطارات كافية من حيث العدد والقيمة أى كما وكيفا كما يقال ، إطارات فى أعلى مستوى قادرة على الخلق والابتكار والتأليف فى ميدان العلوم والتقنيات خاصة ، أى تكوين بحاثة وعلماء قادرين على مجاراة البحاثة

والعلماء الامريكان والأوربيين فى ميدان البحث والاكتشاف والاختراع بالمخابر العلمية ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يشترط فى هؤلاء البحاثة والعلماء أن يتضلعوا فى العربية ليعبروا بها عن آرائهم ويصنفوا بها الكتب والمقالات ۰ الحل إذن ينحصر فى تكوين العقول والادمغة لا فى الترجمة فحسب ۰

فاذا ظهروا الى الوجود ـ والمسألة مسألة زمن ـ أصبحوا قادرين على فرض لغة عربية علمية عصرية ، فتقتحم هذه اللغة المحافل العلمية والسياسية الدولية تقديرا للناطقين بها من أجل علومهم ومساهمتهم فى تحقيق التطور البشرى والتقدم الحضارى على صعيد عالمى ۰ هذا هو الحل فى الآجل ، لان الحياة على مراحل والتطور كذلك ۰

أما الحل فى العاجل فهو ما بادرت إليه تونس وهو استعمال اللغة الفرنسية الى جانب اللغة العربية ، على أن هذا الحل قد يطول أمده ، ولا ضير فى استعمال اللغتين العربية والفرنسية ، بل حتى أكثر من لغتين فى عالمنا اليوم ، عالم الحضارة والعلوم والتقنيات والاكتشافات المتعددة المتعاقبة ، علم غزو القمر والتحليق فى الفضاء ، نريد فيه أن نلتحق بالامم المتقدمة التى سبقتنا أشواطا وأشواطا فى ميدان البحث العلمى والاختراع والاكتشافات التقنية ۰

وهكذا فان اللغة التى يمكن أن تصبح أداة التآليف العلمى والتدريس بالمعاهد والكليات هى اللغة الثالثة التى تعرضنا لها آنفا بشرط أن يخلقها ويفرضها ـ بالتأليف فيها قبل كل شىء ـ جمع البحاثين والعلماء الذين ننتظرهم سواء فى ميدان الرياضيات او العلوم الفيزيائية او علوم الذرة وغزو الفضاء ، أو الطب فى المخابر بالخصوص ۰

وإذا ما وصلنا الى هذا الطور ، الذى تصبح فيه اللغة العربية ـ اللغة الفصحى المبسطة ـ لغة التدريس والتأليف بمختلف مراحل التعليم ، فلا بد من الحفاظ على اللغة الفرنسية واللغة الانجليزية أو الالمانية وغيرها من اللغات العالمية الحية بمدارسنا حتى يبقى التفاعل أو التبادل أو التلاقح حاصلا بين الحضارات والثقافات فنكون هكذا قد حققنا ما نصبو اليه من تدعيم ثقافتنا على أسس قومية وأصيلة من ناحية ، وتفتح من ناحية أخرى على العالم الخارجى ۰

ولئن كان من السهل اليوم أن ندرس اللغات والعلوم الانسانية أو عددا منها على الأقل باللغة العربية ، فان كثيرا من المشاكل ما زالت قائمة فى وجه هذه اللغة : ومنها صعوبة تعريب العلوم والفنون التقنية كلها فى الآجل ، وقلة

الاطارات الكفأة والكافية فى ميدان التدريس العالى باللغة العربية ، وكذلك إدبار الشبان من الطلبة والطالبات عن العربية كما دلت على ذلك التجربة الاخيرة الرامية الى اقحام ساعة عربية فى مختلف شعب التدريس الجامعى ، الخ ...

وإن دل هذا النفور منهم على شيء فهو يدل على نوع من المركبات ، مركب الشعور بالنقص ، المتمثل فى الازدراء والاستعلاء تجاه هذه اللغة ٠

أما فيما يتعلق باللغة الدارجة ونصيبها من الاستعمال فقد ينحصر ـ على الصعيد الداخلى ـ فى الميادين التى تسربت اليها اليوم ، سواء بالاذاعة والتلفزة أو ميادين التأليف المسرحى لبعض الروايات المسلية أو ذات النزعة التربوية الاخلاقية والاجتماعية لعرضها بالاذاعة أو التلفزة وحتى على الركح ، فضلا عن ميدان التخاطب بالمنزل والشارع والادارة ٠

على أنه من العسير أن نتصور اللغة الدارجة هى اللغة الرسمية المثلى التى قد تصبح لغة التأليف والتدريس أو نشر العلم والثقافة فى أى بلد من أقطار المغرب أو المشرق وهذا راجع ـ اذا وضعنا المشكل على الصعيد الأممى بين هذه الاقطار ـ إلى ان لكل بلد من هذه البلدان لغته الدارجة ولهجته ومصطلحاته الخاصة : فكلمة « شنطة » المصرية مثلا لا أفهمها وأفهم مكانها لفظة « فليجة » رغم أن هذه اللفظة أعجمية غير عربية لكنها تستعمل فى الدارجة التونسية ٠ وقل مثل ذلك بالنسبة الى الكثير من الكلمات ذات الاصل التركى او الفرنسى التى تزخر بها اللهجات العامية فى مختلف الاقطار العربية والتى تستعمل فى بلد دون الآخر ، مما يجعل وسيلة التفاهم والتخاطب صعبة معقدة ٠

فالحل إذن هو لفائدة لغة عربية فصحى مبسطة تفرض نفسها مع الزمن بفضل عدة عوامل ٠

ومن هذه العوامل بالنسبة الى بلادنا ، انتشار التعليم وعناية الحكومة بتطوير اللغة العربية وتنميتها فى نطاق التدريس والتأليف من الحفاظ على اللغات الأجنبية وخاصة الفرنسية بآعتبارها اللغة العملية المناسبة القريبة من الأغلبية الساحقة من التونسيين ضمانا لابقاء التفتح على الثقافات والحضارات الأجنبية والتفاعل مع العالم الخارجي وتحاشى الانكماش والانغلاق على النفس ٠

وخلاصة القول فقضية اللغة العربية هى قضية تطور زمنى ، مرتبطة

آرتباطا وثيقا بآنتشار التعليم الى ان يكتسح كافة أبنـاء الشعب التـونسى بنسبة قريبة من النسبة المثلى أى ما يقرب من مائة بالمائة ، كما هو الشأن فى البلدان المتقدمة التى مرت على آستقلالها عقود من السنين ، وهى قضية تكوين إطارات عالية كفأة مقتدرة على البحث والاختراع والتأليف وبالتالى على فرض لغة مجددة مبسطة منقحة لها قواعد الفصحى مع تراكيب وألفاظ واصطلاحات قريبة من الاذهان ، يفهمها الخاص والعام • كما هى قضية عنـاية من طـرف المسؤولين بتطويرها ونشرها كما هو الشأن بتونس ، وعلى صعيد أممى ، من طرف المسؤولين بمختلف الاقطار الناطقة بها •

فعسى بذلك أن تصبح الى جانب اللغة الفرنسية أو الانقليزية أو الالمانية أو الاسبانية لغة « التعامل » فى المحافل الدولية السياسية والمنظمات الثقافية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية العالمية •

ح• ش•

اقرؤوا فى الأعداد القادمة

- « جنون السماء » شعر : محمد حمدى
- « التوازن والتكامل فى العملية التربوية » بقلم : رمضان لاوند
- « عندما نقطع الحبل » مسرحية : لعبد الجبار الشريف
- « قصة الانسان » شعر : عبد السلام خروف
- « رسالة لن تصل » قصة ، بقلم : الحبيب إبراهم
- « ألف لام ميم » مسرحية ، بقلم : أحمد القديدى
- « غرام فى العالم الثالث » قصة ، بقلم : حسين الواد
- « ليس للثورة قيمة » مسرحية ، بقلم : حسن نصر الخ •

حب

لوحة ، بقلم : البشير بن سلامة

لَمْ تَكُنِ السَّمَكَةُ فِي انْطِلاَقِهَا مِنْ رُكْنٍ الى رُكْنْ، تَحْتَ أَلْوَان مِنَ الانْوَارِ البَاهِتَهْ، إلاَّ طَرْفَةَ العَيْنِ فِي الظَّلاَمِ يَشْحَذُهَا بَرِيقْ، وَخَفْقَةَ القَلْبِ تَهْفُو الى عَبِيرِ الحَيَاةْ، أَمَلاً وَتَوْقًا، وَلَهْوًا وَاشْتِيَاقْ*.

وَلَمْ تَكُنِ الفَتَاةُ، وَنَظَرُهَا يَرْقُصُ خَفَّافًا فَوْقَ لَمْعِ الجِسْمِ يَحْتَكُّ بِالمَاءْ، تَشْعُرُ بِنَظَرِه، لاَهِيًا، أَفَّاكًا، يُعَانِقُ رَقْصَةَ البَصَرْ، وَيَقْتَنِصُ لَحْنًا يَنْسَابُ كَهَبَّةِ نَسِيمْ، وَرَجْفَةَ جَنَاحٍ شَقَّ أُفُقًا عَنِيدًا أَبِيّ*.

وَانْطَلَقَا، زَمَانًا حَائِرًا يَنْطِقُ بِالزَّهْرِ وَالعَبِيرْ، وَيَضْحَكُ حَنِينًا، وَيَضْحَكُ انْعِتَاقًا. وَيَلُفُّ عَلَى قَلْبِهَا أَصَابِعَهُ النَّاعِمَهْ، وَيُنَغِّمُ دَقَّاتِه عَلَى دَقَّاتِ قَلْبِهْ، وَيَهْمِسُ فِي أُذُنِ صَاحِبِهَا بِأُغْنِيَةٍ أَنْغَامُهَا سِحْرٌ، وَأَلْحَانُهَا دَفْقُ فِرَارْ.

وَمَشَى وَمَشَتْ، عَلَى حَصَى الشَّاطِيءِ كَالجَمْرِ وَالمَاءُ ثَلْجْ، وَدَمِيَتْ أَقْدَامُهُ وَانْفَتَحَ قَلْبُهَا انْشِرَاحًا وَرِضًى، وَضَحِكَتْ لِرَجْعِ خُرَافَةٍ وَأُنْسٍ أَلِيفْ، وَاللَّيْلُ عَيْنٌ أَحْدَاقُهُ تَضِيقُ وَتَضِيقْ، وَظِلُّ الظَّلاَمِ كَنَفٌ عَابِرٌ تَكْشِفُهُ شَمْسُ الحَقِيقَهْ.

(*) (كـذا) .

وَافْتَرَّ صُبْحٌ عَنْ سِنِّ الجَفَاءِ وَلاَجَفَاءْ ، فَدَمِيَتْ أقْدَامُهُ وَالأَرْضُ صُلْبٌ أنُوفْ ، وَانْفَصَلَ الزَّمَانُ عَاتِيًّا ظَلُومًا ، وَانْتَفَى اللَّهْوْ .

وَشَدَّهُ إلَيْهَا خَيْطٌ ، إبِرَتُهُ تَخِزُ قَلْبَهُ ثُمَّ تُدْمِيهْ ، وَرَاحَ بِكَفَّيْهِ ، يَعْتَصِرُ ألَمًا شَفَّافًا مِنْ وَرَائِهِ ذَوْبُ دَمْعٍ وَبَرَاعِمُ حُزْنْ ، فلم يَعْرِفْ وَجْهَهُ فِيهَا ، وَلاَاسْتَشَفَّ نَسِيجَ اللَّهْوِ مِنْ بَيْنِ خُيُوطِهَا .

ثُمَّ اشْتَدَّ الأَسْرُ ، خُيُوطًا حَرِيرًا وَلاَكَالحَرِيرْ .

البشير بن سلامة

البير كامو في نظر جزائري *

(2)

بقلم : الدكتور أحمد طالب الابراهيمي

وفي مدى عشر سنوات أي فيما بين سنتي 1940 و 1950 كتب ونشر كامو الصفوة من آثاره • وبعد نشره « الطاعون » سنة 1947 ، وهي الرواية التي لقيت نجاحا منقطع النظير ، مثلت له في السنة بعدها مسرحية « حالة الحصار » (L'Etat de Siège) • وأسهمت نخبة من الممثلين في الاضطلاع بأدوارها حيث انتدب لها جان لويس بارو (Jean-Louis Barrault) ومادلين رينو (Madeleine Reynaud) وماريا كازاريس (Maria Casarès) وبيار براسور (Pierre Brasseur) ، بيد أنها منيت بالاخفاق • وفي سنة 1950 إثر رحلة له الى أمريكا الجنوبية مثلت له مسرحية « العادلون » (Les Justes) ولعلها من بين سائر قصص ومسرحيات كامو هي الأثر الذي يتيح لنا أكثر من غيره أن نستخلص رأيا عن ردوده للفعل تجاه الصراع النفسي بأنواعه ، مما ينشأ عن متطلبات العمل الثوري في تعارضه مع نوازع العاطفة ومقتضيات السلوك الاخلاقي المألوف • وقد استلهم الكاتب موضوعها من الحملة الارهابية التي شنها الثوريون الروس سنة 1905 على النظام القيصري •

فهنالك ستيبن (Stépan) الذي لا يزعجه أن يلطخ يديه بالدماء في سبيل الثورة والذي يرى الغاية مبررة للوسيلة ، بينما نجد غيره من الاشخاص يذهب الى أن العمل الثوري ينبغي أن يلتزم حدودا يقف عندها • وهنالك خاصة كاليلييف (Kaliayev) (وهو الذي يبدو متفوها برأي كامو) فهو يرى قتل الاطفال منافيا للشرف ، ويقول بهذا الصدد : « **لو أن الثورة تخلت يوما عن الشرف ، وأنا حي أرزق ، اذن لأعرضت عنها جانبا** » • وكذلك يأبى أن يقترف في حاضره أي مظلمة من أجل اقامة نظام في المستقبل قد لا يتفق مع رغائبه ، ويردف قائلا : « **انما اعتنقت الثورة لأني أعشق الحياة** » ويرد عليه ستيبن : « **لكنني أنا أعشق العدالة ولا أبالي بالحياة** » •

وليس من غرضنا هنا أن نحلل آثار كامو ذات الاتجاه الفلسفي ، مما قد يستدعي مزيد الاسهاب ، فهو كما يقول بعض ناقديه : « **قد عبر في لغة**

(*) راجع « الفكر » ـ السنة 15 ـ العدد 9 •

واضحة عن أفكار ليست دوما تماثلها في الوضوح » ونحن مقتصرون هنا على « الرجل المتمرد » (L'Homme Révolté) ٠ ومعلوم أن بروز هذا التأليف قد أدى الى نشوب نزاع قلمي طويل عنيف بين سارتر (Sartre) وكامو على صفحات مجلة « الأزمنة المعاصرة » (Les Temps Modernes) مما أفضى في النهاية الى القطيعة بين الرجلين ٠

وقد كان لاخفاق كتاب « الرجل المتمرد » وللقطيعة مع سارتر أبلغ الأثر في نفس كامو ، ولاح للعيان أنه تخلى عن المعمعة ٠ وأمسى ذلك التخلي في نظر بعضهم عبارة عن جحد لمبادئه وتنكر لها ٠ بيد أنه كان بين الفينة والأخرى يخرج من صمته ليقدم شهادة أو ليصدر بعض الاحكام الصارمة في لهجتها ٠ ففي ديسمبر ١٩٥١ أدلى كتابيا بتصريحاته في قضية (M T L D) أمام محكمة بليدة ٠ وفي سنة ١٩٥٢ قطع صلته بمنظمة « اليونسكو » (UNESCO) إثر قبول اسبانيا بهذه المنظمة الأممية مبديا مزيد الاستنكار على رؤوس الأشهاد ، كما ساهم خلال سنة ١٩٥٣ في اجتماع عقد لفائدة الشغالين الذين ثاروا ببرلين الشرقية ٠

وفي أواسط سنة ١٩٥٥ يعود الى أحضان الصحافة وقد فتحت في وجهه مجلة « أكسبريس » (Express) أعمدتها ٠ وفي ١١ جويلية بينما كانت الثورة الجزائرية في مستهلها برزت له بها مقالة تحت عنوان « ارهاب وقمع » جاء فيها :

« انما يعلل الارهاب في الجزائر وفي غيرها بفقدان الاهل ٠ فمنشؤه في كل موطن وعلى مر الدهر هو شعور المرء بوحدته وانعزاله ، وما قد يخامره من أنه لم يعد له من ركن يعتمده أو من غد يرجوه ، وأن الجدر المحدقة به عديمة النوافذ متناهية الكثافة بحيث لا مفر من نفسها عنوة لكي يتاح له مجرد التنفس وحتى الخطو شيئا ما الى الامام ٠ وهكذا انغلقت الجدر حول سواد أعظم ليس له من ممثل أو باي أو سلطان يتكلم عنه ويشخصه للعيان ٠ فالصمت الحاف به والبؤس الغامر له وانطماس الغد الأفضل في وجهه وفقدان الامل لديه والشعور المرهق بمهانة خاصة لحقته حين جاءت كل أمة تجادل عن نفسها ، كل ذلك جعل ليلا من اليأس ينيخ بكلكله على جموع الجزائر ، فلا مفر أن ينطق المكافحون من أحشاء ذلك الظلام » ٠

وكذلك يدرك كامو لماذا حمل أبناء الجزائر السلاح ، بيد أنه لم يتمثل ذلك الا في صورة تمرد لا أكثر ولا أقل ٠ ولم ينتبه الى أنه ثورة في واقع الأمر ٠ فهو اذ ينتقل الى الجزائر العاصمة بعد أشهر ليلقي بنادي « التقدم » محاضرة ينادي فيها بما سماه « مهادنة المدنيين » ، يتجلى واضحا للعيان مبلغ منافاة

دعوته لواقع الأحداث • على أن الجزائريين من أبناء العاصمة أكرموا يومئذ وفادته ومنحوه عطفهم • وكيفما كان الأمر فقد كان من أثر استسلام غي مولى (Guy Mollet) اثر ذلك بأيام لمتطرفي الاوروبيين ورضوخه لارادتهم أن بدد جميع الأوهام ، وأدى الى متابعة النضال بما يفرضه من التضحيات الباهضة حتى الاستقلال •

وانقطع كامو عن مساهمته في مجلة « اكسبريس » ولازم الصمت الى شهر أكتوبر من سنة 1956 حيث ساهم في ندوة احتجاج عنيف ضد أحداث بودابست • وعلى عكس ذلك لم ترتفع عقيرته ابان الحملة الفرنسية الانجليزية على قنال السويس • ثم تنصرف من يومئذ مهجته الى المسرح خاصة •

وتعرض كامو للمرة الاخيرة لقضايا الجزائر في « حاليات 3 » وكان بروزها في يونيو 1958 ، أي بعد مضي شهر على الثالث عشر من ماية واستلام الجنرال دى قول (Gl. de Gaulle) لمقاليد الحكم • وكان الجزائريون ما فتئوا معلقين آمالهم بكامو رغم ما كان من تحاشيه ادانة أعمال التعذيب على غرار نخبة من المثقفين الفرنسيين،فأثار موقفه ذلك استنكارهم بما تقدم به الكاتب من حل مزر على غرار النائب لوريول (Lauriol) • فبينما كان قد استشهد يومئذ مئات الآلاف من أبناء الجزائر من أجل استقلال بلادهم اذا بكامو يقترح اقامة نظام المحكم يقول كامو عنه : « **انه جامع مزايا الادماج الى محاسن الفيديرالية** » وهو بالضبط الحل الذى كانت قد تخطته الاحداث منذ سنة 1945 ، كما تبين هو ذلك بنفسه في التحقيق الذى أجراه يومئذ لصحيفة « كمبا » • وأعجب من ذلك أنه قد اعترف هو نفسه بأن « **سياسة فرنسا بالجزائر هى دوما متخلفة بعشرين سنة عن واقع الأحداث** » •

ذلك أن كامو غير متفق مع الثـورة الجزائـرية لا بالنظـر الى أهـدافها ولا بخصوص وسائلها :

1) فهو يتخذ له موقفا متسمـا بالـرجعية • ويقـول : « **انني مناهض كل المناهضة جميع مظاهر الاستسلام** » ويردف قائلا : « **مهما كان من حسن نوايانا ازاء مطالب العرب ، فعلينا أن نسلم بأن الاستقلال القومي انما هو بخصوص الجزائر عن صياغة قوامها العاطفة ليس الا** » •

وفي « رسالة الى جزائرى » نراه يلجأ في شيء من الغلظة الى استعمال تعابير من صنف قوله : « أنتـم العـرب » و « نحـن الفـرنسيين » و « رهطكـم » و « رهطى » الخ •

2) وهو الى ذلك يناضل عن فكرة للعدالة غير متضحة السمات، ويحاول تبرير رفضه للاستقلال بما له من وجهة فى النظر مرتجلة ومفرغة فى قالب من اللبس فهو يكتب : « **مهما كانت المصادر القديمة والمتأصلة لمأساة الجزائر ، فثمة أمر قار : ليس هنالك من سبب يبرر موت البرىء** » .

وقد لاحظ ب. ه. سيمون (P.H. Simon) أن موقفا كهذا قد يفضى أحيانا الى ابقاء الحالة الراهنة على ما هى عليه من ذهاب الأبرياء طعمة للألم والموت . وكان عمانويل مونيه (Emmanuel Mounier) قد لاحظ من قبل أن رفض استعمال العنف فى الاطاحة بالحكم الجائر عبارة عن تناس منا لكون ذلك الجور الملابس للحكم هو فى حد ذاته عنف .

وهذا كامو نفسه قد سبق له أن أيد نضال الجمهوريين الاسبان الذى أفضى حتما الى قتل الأبرياء ، كما أيد انتفاضة بودابيست الشعبية ، وما كان يهمه أن مات الأبرياء من جرائها . وهو يعلم مثلا أن أعمال التخريب المقترفة من طرف المقاومين الفرنسيين كانت تنجر عنها حتما حملات للانتقام والتشفى من طرف الألمان تلتهم العدد الجم من الفرنسيين أنفسهم ضحية لها .

وبناء عليه فان زعمنا بأن ليست ثمة قضية تبرر موت البرىء يشكل مقالة وجيهة شريطة أن نعممها على كل زمان ومكان . لكن كامو تجرد من النزاهة فى حكمه اذ حصر مقالته تلك فى نطاق الثورة الجزائرية دون غيرها .

أما نحن فان ننس لا ننس ما كتبه كامو نفسه من قبل فى صحيفة « كمبا » اذ يقول : « **لست قائلا بأن العنف يرد عنه باستدرار البركات على جانبيه. انما أظن أن العنف لا مفر منه بتاتا ، ولقد علمتنى ذلك سنوات الاحتلال** » .

3) ان من شنشنة كامو أن ينضم الى جانب رهطه و « ذويه » على حد تعبيره أى الى شق الاوروبيين فى الساعات الرهيبة . والحق أن هنالك تعليلا نفسانيا لموقفه هذا سواء أكان ايجابيا أم سلبيا : ذلك أن حجة العاطفة والقلب أنهض لديه من حجة العقل . وكفانا أن نذكر بهذا الصدد ما كان من رده فى ستوكهلم (Stochkolm) اثر تسلمه جائزة نوبل على شاب جزائرى كان قد استفسره خلال ندوة صحفية عما اذا كان مساندا للثورة الجزائرية أم مناهضا لها ، فأجابه كامو :

« **اننى ما فتئت أدين الارهاب ، فعلى أن أدين عمليات الارهاب الأعمى الجارية بأزقة الجزائر مثلا ، والتى قد تصيب أمى ذات يوم . اننى لمؤمن بالعدالة**

(وهذه منه محض فكرة مجردة) ، لكنني أدافع (هنا تتكلم العاطفة) عن أمي قبل العدالة » .

ويعمد ج. روا (J. Roy) وهو العليم بكامو الى التعليق على ذلك الرد المتفوه به في ستوكهلم ، فيقول : « **ان ما كان يكنه كامو من بر عريق متاصل في نفسه لشخص تلك العجوز الأمية كان يتحول بطبيعته الى شعور ديني . فقد كان تراب الجزائر يتقمص لديه في شخص أمه النابضة حياة** » . وينهي ج. روا توضيحه قائلا : « **كان الجزائريون مصرين في اعتقادهم بأن كامو رجل عظيم ، وانما فرقت بينهم الحياة والمقادير . ولكن أي شيء هذه الحياة ؟ انها على الحقيقة لهي الصورة الذهنية الحاصلة في نفسه عن المرأة التي وهبته الحياة ، أي الأم ... وما دام الأمر متعلقا بقضايا فكرية مجردة كان بمقدور كامو إدانة حماقات رهطه والتشهير بجرائمهم . أما اذا كانت الحياة نفسها هي المعنية فهو ينضم الى جانب « ذويه » كما هو الشأن في المأساة اليونانية عند النطق ببعض الألفاظ النحسة ، فتسيل على اثرها الدماء** » . ويحسن بنا في هذا الصدد **أن نعرج** على ما خطه كاتب فرنسي آخر هو ليون بلوم (Léon Blum) في كتابه « المعيار الانساني » (A l'Echelle Humaine) اذ يقول :

« **ليس للمرء مهجتان متغايرتان ، هذه للتغني والشدو والاخرى للعمل الجاد ، وهذه لتذوق الجمال واكتناه الحق ، وتلك للشعور بالأخوة واستيعاب مفهوم العدل** » .

على أن كامو نفسه هو الذي يصرح في رسالته الاولى الى صديق ألماني :

« **لسنا نجد مبررا لسعينا في أي ضرب من ضروب الحب** » .

وبوسعنا الى حد ما أن نقارن بين موقف كامو وبين وجهات نظر أديب آخر من رضعاء الثقافة الفرنسية وهو جان عمروش (Jean Amrouche) ، فهو في عدد 16 جانفي 1958 من مجلة « فرانس ابسرفاتور »(France - Observateur) يوضح لنا رأيه كما يلي :

« **إن أي وطني جزائري لا يناهض الاستعمار على نفس المنحى والشكل الذي يعارضه به فرنسي يساري النزعة ... ان حرب الجزائر ليست في نظر الجزائري معركة كغيرها . انها حرب مقدسة ، تضع الصميم من كيانه واللب من وجوده ، لا جوانب محدودة منه ، في مهب الرياح ، وتجعله مناطا للأخذ والرد** » .

حتى اذا ما وافاه أجله (أي جان عمروش) لبضع أسابيع من تاريخ وقف

اطلاق النار أتيح لنا أن نقرأ ببعض الصحف أن ذلك الأديب الراحل على الرغم من تشبعه بالثقافة الفرنسية وانتمائه الواضح الى الكثلكة قد حصل له مزيد الوعى سنة 1954 بوشيج أواصره بشعبه ، وأنه ما انفك من يومئذ يناضل لفائدة القضية الجزائرية . وفى موقفه ذلك دلالة لنا على أنه مهما كان من توثق عرى اللحمة الثقافية بفرنسا ، فلن يقوم ذلك بتاتا حاجزا دون لحاق الجزائرى بمواطنيه ، ولا حائلا دون انضمامه التام الى كفاحهم .

وكذلك ما كان من جان عمروش الا أن طالب لنفسه بصفة المواطن الجزائرى تجاه ما كان يتحمله شعبه من آلام نكراء فى سبيل امتلاكه حريته .

أما كامو فلم يرد ذلك لنفسه ، بل نجده على العكس يعمد الى تشويه تلك المعركة والنيل من مقامها ويتهاوى فى « حاليات 3 » الى حضيض مزر اذ لا يتحاشى فى هذا الصدد من الادلاء بحجج من صنف قوله مثلا :

« **علينا أن نعتبر المطالبة الجزائرية بالاستقلال كظاهره بين سواها من مظاهر الامبريالية العربية الجديدة التى تشرئب مصر الى تزعمها فى نعرة من الغرور والتى تستخدمها لحد الآن روسيا لفائدة نواياها الاستراتيجية ضد الغرب** » . وهنا يكاد يلتحق بلويس برتراند مع وجود فارق طفيف وهو أن هذا الأخير يتحدث عن الغرب اللاطينى بينما كامو يتحدث عن الغرب مطلقا . وعلى كل حال فنحن نستروح من مقالته هذه أنه قد بلغ من أمره أن أصبح يستند الى نفس الحجج التى استظهر بها من قبل أشباه لاكوست (Lacoste) وسوستيل (Soustelle) فى دعم مذهبهم الاستعمارى ، فهو لا يتحرج من التأكيد بأن الثورة الجزائرية ليست فى حقيقتها سوى « **تواطؤ غريب تألبت فيه علينا مدريد وبودابيست والقاهرة** » (ص 146) وأنها « **قد أعرضت جانبا عن سد الضروريات المادية الهائلة لجماهير ما تنفك متضخمة يوما بعد يوم ، وظلت تحلم بوحدة اسلامية شاملة ربما تكون أيسر تصورا وأبرز ملامح فى مخيلة رجال القاهرة منها فى الواقع التاريخى** » (ص 150) .

ومثل هذا التعامى عن واقع الثورة كان يبدو منتظرا من طرفه من يوم أن حرر رواية « الغريب » وهى الوحيدة التى كتبها كامو بالجزائر من أولها الى آخرها ، والتى يتخذ منها اليوم مادة لشريط سينمائى . فليت شعرى هل يتيح لنا هذا الشريط الوصول الى مغزى هذا الأثر الأدبى . وكيفما كان الحال فمعلوم أن الشرح الذى تقدم به سارتر للرواية ، وكذلك التحاليل التى كتبها بهذا الصدد عدد من النقاد لم تحظ برضا المؤلف فلا بأس أن نضم الى

ذلك بدورنا تأويلا لنا قوامه الرمزية لا سيما اذا سلمنا بأن الكاتب قد لجأ الى الرموز فى كتابته رواية « الغريب » ٠

لقد كان كامو ابن عامل زراعى فكان يحز فى نفسه بذخ المعمرين وصلفهم المتناهى ، ثم انه ناضل فى صفوف الحركة المناهضة للفاشية وأصبح مثقفا من صنف ممتاز ، ومن أجل ذلك كان الواعى لمنزلة أوروبيى الجزائر بما اتسمت به من خصائص ٠ وإن ننس فلا ننس أنه شرع يكتب « الغريب » فى سنة 1939 وهو ما فتىء ينتمى الى صحيفة « الجزائر الجمهورية » (Alger-Républicain) ، فكان يدرك ما فى الوضع الراهن من لا معقولية متمثلة فى وجود جالية موطنة بالبلاد وسط مجموعة بادية التفوق عدديا من أبناء الجزائر ٠ فلا امتراء حينئذ من أن « الغريب » فى نظر كامو انما هو الأوروبى بأرض الجزائر ٠ هذا المشهد الرئيسى للرواية وهو اطلاق مورصو رصاصات خمسا من مسدسه على « العربى » المجهول انما هو رمز الى العدوان الكامن فى نفس الاوروبى ، والذى هو يحلم بالتخلص من وقرة إنهاء لما يشعر بـه من وحشة مليئة بالقلق والمخاوف فى مجابهته للعربى ٠ ولست بالقائل ، على غرار بعض المتأولين ، أن مورصو ـ أو بالأحدر كامو ـ قد تخلص بذاك الموقف من عقدة فى نفسه من صنف ما ينتاب صبيان الاوروبيين فى البلاد المستعمرة ، وأنها كانت علقت به من يوم أن اعتدى بالعنف على أمه من طرف رجل جزائرى فى منزلهم بحى بلكور ٠ على أننى أرى أن كامو بمقتله العربى فى روايته قد حقق عن طريق اللاوعى ما كان يحلم به كل أوروبى استوطن الجزائر وأحبها لكنه لا يتصورها الا مجردة من أبنائها ٠

أما الحكم بالاعدام على مورصو كما جاء فى الرواية فهو غير محتمل ، ذلك أنه ما حدث قط أن اقتص بالاعدام من قاتل أوروبى ٠ لا ريب اذن أن ذلك الحكم الصارم انما هو اشعار بنهاية نظام آثم مناف للعدل ٠ وكان كامو متوقعا هذه النهاية منذ سنة 1939 ، ولو أنه لم تسمح نفسه استقلال الجزائر بعد مضى عشرين سنة على ذلك التاريخ ٠ ولنا أن نلمح وجها للشبه بين كامو المتضامن مع أوروبيى الجزائر أو « الأرجل السود » كما سموهم ، وبين فولكنر المتغنى بمآثر بنى رهطه من الجنوبيين الاميريكان ٠ ونجد نفس المقارنة بقلم جول روا (Jules Roy) اذ يقول :

« لقد كان كامو على علم مثل فولكنر بأن الحقيقة مردها الى العاطفة والقلب ، بحيث ليس يجدى المنطق فى اقناعنا ، وان ملأ الدنيا حججا ، اذا كانت القضية تخص ذوى رحم لنا تشدنا بهم أواصر من الدم والجنس » ٠

وبالتالى فان الجزائريين (أى من سماهم كامو بالعرب) ليس لهم من أثـر

مطلقا فى عامة تصانيفه · واذا ما حدث أن أبرز لنا عربيا ضمن أشخاص قصصه كما فى رواية « الغريب » فهو لا يتحرج بشأنه من سرد غير المحتمل وما لا يمكن تصديقه بحال ، ولعل ذلك لأن القصة ليست بوصف للواقع ، بل هى ذات طابع رمزى ·

أما فى روايته « الطاعون » فليس ثمة جزائرى مطلقا بوهران ، وهى المدينة التى تتجلى فى روايته تلك بملامح غريبة حقا حيث يقول لنا عنها فى أول القصة : « **انها مدينة من الطراز المألوف لا تزيد شيئا عن أى مركز ولاية فرنسية بالساحل الجزائرى** » ·

وفى كتابه « المنفى والملك » (L'Exil et le Rayaume) يقدم لنا ضمن أشخاص قصة له بعنوان « الضيف » (L'Hôte) معلم صبيان فرنسى أنيط به أن يقود الى السجن رجلا جزائريا كان أودعه رجال الدرك ·

ولا مفر من أن تحرجنا مثل هذه الجزئيات · فليت شعرى هل كان يرمى من ورائها الى اضفاء مفهوم الشمول الانسانى على تصانيفه ، بينما لو أقحم فى طيها أشخاصا من العرب لآلت القضية برمتها الى الواقع الراهن المتأجج سعيرا والمكهرب نضالا بما فيه من مطالبة العرب بحقوقهم ؟

هذا وقد لوحظ أن فقرة تناولت موضوع الاحتلال والغزو فى كتابه « أسطورة سيزيف » قد أدرجت فى صلب « الكنانيش » (1934) (Les Cahiers) تحت عنوان « حوار بين أوروبا والاسلام » · وهو نص متأثر فى مغزاه بكتاب « فتنة الغرب » (La Tentation de l'Occident) لمالرو · ولم يعن قط كامو ولا شغف بقضية هذا الحوار حيث لم يخصص له أى موضع فى تآليفه · وفى كتابه « الرجل المتمرد » لا يخطر على باله أن يتعرض بهذا الصدد لصورة بارزة حقا فى هذا الباب ، وتلك هى المتمثلة فى موقف أبناء البلدان المستعمرة (بفتح الميم) · فنحن نراه قد أهملها تماما عندما تناول بتحليله منشأ ظاهرة التمرد فى نفس العبد المسترق تجاه سيده ، اذ تبدأ تساوره هذه الفكرة : « **ألا أن هذه الحالة لا يمكن أن تستمر** » ·

* * *

أجل ، لقد اتضح الصبح لذى عينين ، ولم يعد من مجال للريب · لقد اختار كامو معسكره ، وانضم الى رهطه المفضل عنده والمحبب الى قلبه ، كما كانت تشعر بذلك الكلمة التى ألقاها فى مكتبه بمقر صحيفة « الاكسبريس » عند

مستهل سنة 1956 ، فى وفد جاء لزيارته من قبل الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين كنت أنا من بين أفراده ٠ فبعد أن اقتبلنا اقتبالا وديا والتمس منا الجلوس على الارض فوق بساط مفروش (كما هو الشأن فى منزله حسب تعبيره) شرع يفيض القول فى كلمة طويلة لم تكن فى واقعها سوى صورة جديدة طبق الاصل من تأرجحه المتعارف بين كلمتى « نعم » و « لا » ، وتردده المعهود بين الرفض والقبول ٠ وقد ألح فى القول بأن العنف واحد فى جوهره ، وأنه لا ينبغى له إدانته وقد تلبس به المظليون ، ان هو لم يدنه كذلك مسلطا من قبل الارهابيين ٠ ولم يكن للبراهين التى أدلينا بها أى أثر فى اقناعه وزحزحته عن رأيه ٠ وقد أدهشنا خاصة من طرفه أن كان يستعمل كلمة « نحن » متحدثا عن فرنسيي الجزائر ، ولفظة « أنتم » متوجها الى أبناء الجزائر ٠ وأدركنا فحوى أمره عندما أنهى كلمته بهذه العبارة (وهى التى نقلها جان دانيال (Jean Daniel) : « **ألا فخذوا حذركم ٠ لقد أوشكت تدق الساعة التى لا سبيل فيها لأى كان أن يبقى على الهامش أو فى الوسط أو بأعلى الربوة ٠ انه اذا تمادى العنف واستفحل فالواجب المحتم حتى بالنظر لمثلى هو العودة الى رهطه وذويه ، حيث يستحيل الحياد أو البقاء خارج المعمعة** » ٠

ذلك هو كامو كما ترده لنا « **الأبدية الى كنهه وحقيقته الخالدة** » ٠ لقد كان كاتبا ذا موهبة لا غبار عليها ، وكان ذا حساسية مرهفة متسما على الدهر بتضامن عنصرى فى جوهره يشده الى المجموعة الانسانية التى ولد وترعرع فى أحضانها ، وما فتئت أمه منتمية اليها ٠

فتلك هى القيود التى حالت دون تجاوزه وضعيته وخروجه عن دائرتها الضيقة بحيث يصبح الشاهد العدل الذى كان ينتظر منه أن يكونه : أعنى الشاهد المتفتح الوعى والضمير على ضروب الشقاوة والظلم الطافح بها عصره٠

حتى اذا ما أدلى بشهادة شعرنا الى أى مدى سيقف فى تحملها والاضطلاع بها على وجهها ٠ وكفانا برهانا ناصعا بهذا الصدد أن نستشهد بقصاصتين من جريدة « لوموند » يرجع تاريخهما الى أوت سنة 1959 ٠ وقد نقلت لنا القصاصتان نداءين ممضيين من طرف كامو وغيره من الكتاب أحدهما متعلق باسبانيا والآخر بالجزائر ٠

وقد جاء الاول بهذا العنوان : « **مثقفون فرنسيون يحتجون على أعمال القمع والتعذيب باسبانيا** » ٠ أما النداء الخاص بالجزائر فهو يحتج كما جاء فيه على : « **توخى الطرائق المفضية بمر الايام الى تأجيل موعد انتهاء الحرب فى الجزائر**

بما فى ذلك من تهدئة للخواطر ، واقرار ظروف أفضل وأدوم للحياة والتقدم بالجزائر » ٠

فبينما تتصلب اللهجة بالنظر لاسبانيا ، نجدها معتدلة عند التصدى للجزائر ٠ وهكذا ففيما بين سنتى 1936 و 1959 لم يتغير موقف كامو ازاء اسبانيا كما هو مشاهد عيانا ٠ اما بخصوص الجزائر فالأمر يختلف على طول الخط ٠

لا غرو أن كامو قد خط بقلمه بعض الصحائف الرائعة عن جمال شواطئنا وبهاء شمسنا ٠ وحتى بهذا الصدد قد تحولت وجهة نظره فهو اذ يعود الى تبازه بعد عشرين سنة نجده يصارحنا قائلا : « **انه لمن الهوس المفرط والمستوجب غالبا للزجر أن يعود المرء الى مواطن صباه ، محاولا أن يحيا من جديد ، وهو قيد الاربعين ، ما كان قد أحبه وأوغل فى الاستمتاع به فى العشرين من سنيه** » ٠

ثم ليت شعرى هل يصح بشأن المرء أن يقال عنه انه أحب بلدا وهو المقتصر على الاشادة بشمسه المشرقة وشواطئه الرائعة ، وقد أعرض ونأى بجانبه عن بنيه بما لهم من آلام وآمال ، كانما قد وضعهم بين قوسين ٠

وللمرة الاخيرة نستشهد هنا بكلمة لكامو ٠ فهو الذى كتب يقول : « **أجل ان هنالك الجمال وهنالك المستضعفين ٠ بودى أن أظل دوما مخلصا للاثنين معا ، مهما كلفنى ذلك من المشاق** » ٠

ونحن الآن وقد استعرضنا الاطوار المتتابعة لحياة الرجل ــ فمن محقق حر النزعة فى جريدة « الجزائر الجمهورية » سنة 1939 ، الى صحفى مقاوم بجريدة « كمبا » سنة 1945 ، الى معلق منفرد بوجهة نظره فى صحيفة « اكسبريس » سنة 1956 ــ نحن الآن بعد استعراضنا حياة كامو قد يحق لنا أن نستخلص الفحوى والزبدة منها ، وهو أن كامو قد تغير كثيرا ، وأن ما زعموه من تعلقه ببلدنا انما كان تعلقه الجثمانى الصرف بطائفته ورهطه عندما دقت ساعة الحقيقة وانتفت كل الريب ٠

واذ قد تحول كثيرا عن اتجاهه الاول ولم يكن بمقدوره أو هو لم يشأ أن يرفع عقيرته بصفته حاملا لجائزة نوبل لفائدة شعب كان هو أيضا كغيره يكافح لنيل حريته ، من أجل ذلك لم يكن بالوفى لقضية المستضعفين ٠ ونحن اذا ما استعدنا ملامح كامو كما كانت تبدو سنة 1936 لم نتمالك من أن نذكر هذه

الكلمة لأستاذه جان قرينيي : « **ليس هنالك من عظمة حقة دون وفاء ، أى دون ايمان باق على الدهر** » .

لقد كانت تعوز كامو رباطة الجأش ونفاذ البصيرة عندما تدق الساعة للاختيارات الحاسمة . وما أغنت عنه حدة الذكاء ولا سعة الثقافة من شيء ، حيث لم تصرفه عن الانصياع لانعكاساته العمياء بدلا من التفكير واعمال الرأى ولا صدته عن ركوب العصبية الضيقة بدلا من ترجيح القيم الانسانية الشاملة . لقد طغت عليه الاوهام والآراء القبلية الراسخة من عهد الطفولة الى حد أنه اشتبه عليه الأمر ، فلم يبد لعينيه ما سماه « التمرد العربى » سوى مظهر للنزعة الاسلامية العالمية (Panislamisme) وأثر من آثار الكراهية للأجنبى .

لقد كان الجزائريون يأملون عن جدارة من رجل مثله محرز على جائزة نوبل أن يقف تجاههم موقفا أفضل من موقفه المعلوم . فليست تلك الجائزة العالمية عبارة عن شرف وفخار لا نظير له ، بل هى أيضا أمانة فى عنق من أسندت اليه وعبء ثقيل يضطلع به . ذلك أنها تهبه جنسية من صنف متسام حيث هى تناشد صاحبها بأن يقدم خير الانسانية جمعاء على صالح أمته الخاصة .

ولم يكن كامو مع الاسف فى مستوى هذا المثل الأعلى . ومع هذا فقد كان الجزائريون يمنحونه عن طيب خاطر لقب « كامو الجزائرى » لو أنه تسامى عن أحاسيسه العنصرية التافهة وسلم لنا بشرف ما كنا بصدده من الكفاح ولم يكن مشاحنا بشأن الحل الأوحد المرضى لقضيتنا وهو الاستقلال .

وإذن لكان لقب « كامو الجزائرى » بمثابة جائزة نوبل ثانية تخول له ، مما يجوز أن نعده جائزة نوبل لتصفية الاستعمار ، أى لأعظم حركة فى التاريخ المعاصر . لكن كامو لم يكن جديرا بهذه الجائزة العظمى . لذلك سيظل فى نظرنا كاتبا جليل القدر أو بالأحرى صاحب أسلوب فنى ممتاز لكنه سيبقى الى ذلك غريبا عنا لا صلة بيننا وبينه مطلقا .

أ. ط. ا.

ايها الصغار

شعر : فضيلة الشابي

أطفالَ المدينهْ
أيهَا الصّغارْ
تعالَوْا نلعب في الساحة الكبرى
نتسلّق أسْوَار عالم الكبَارْ
وهناك ،
هناك نزرع اللّعنة
رايَة للدّمَارْ !

أطفال المدينه
أيهَا الصّغار
في الساحَة الكبرى
كرة سوداءْ
تعالوا نقذف بهَا الاعينَ الحَزينَهْ
لِتَذُوبْ ،
تشاهد روعَةَ الخطوبْ
تعيش لوعَة الانفجَارْ

أطفال المدينهْ
أيهَا الصّغار
لاتسرقُوا الثّمَرَ من بساتين الكبار
آنظروا ...

فيِ بساتين الفرحَةِ ينهارُ الجدارْ

نحن الصّغار
لا نعرف الكتابَه
لا نعرف قول الشعر
لا نعرف الخطابه
نحن ، فيِ أعماق الكلمه
ضربْنَا الكآبَه ...

نحن الصّغارْ
أعيننا بلا أجفان
أفواهنا بلا أسنان
أجسادنا تعرّتْ من الاكفّانْ
نحن الصّغار
فيِ متاحف التّاريخ
فيِ الكرنفال
سنلعبُ لعبة الإنسان .

ف. ش.
69/10/18

آراء في القافية

بقلم : نور الدين صمود

كثيرا ما يخلط المتحدثون عن الشعر بين القافية والروى فيطلقون القافية فى الغالب على الروى فى حين ان هناك فرقا بينهما .

قال الخليل بن أحمد فى تعريف القافية : « **القافية : من آخر حرف فى البيت الى أول ساكن يليه من قبله ، مع حركة الحرف الذى قبل الساكن** » (1) واما الروى فهو الحرف الذى تنهى به القصيدة .

فالقافية هى مجموعة من الحركات والسكونات تكون فى نهاية البيت .

والروى حرف واحد يلازم آخر كل بيت لا تتغير حركته من أول القصيدة الى آخرها . والى الروى تنسب القصيدة فيقال : قصيدة سينية اى تنتهى بحرف السين ، ولامية اى تنتهى بحرف اللام هكذا ...

وبديهى أنه لا يمكن أن تكون جميع الكلمات المنتهية بلام رويا لقصيدة واحدة اذا كانت غير متفقة القافية « **اى مجموعة الحركات والسكونات الموجودة فى نهاية البيت** » **فكلمات :** الوصل ، والارجل ، ويميل ، ويسأل وسأل وسال... وأمثالها ذات روى واحد وهو اللام ـ ولكنها غير موحدة القافية .

فلامية العرب للشنفرى مثلا ذات روى واحد ، هو حرف اللام المضموم ، وذات قافية واحدة ، هى متحرك فساكن فمتحركان فساكن ، (يتولد من المد عند النطق بالام المضموم) ويسمى هذا الساكن عند العروضيين وصلا واليك هذا المثال منها :

وإن مدت الأيدى إلى الزاد لم أكن ... بأعجلهم إذ أجشع القوم أعجل
إذا ما أوردت أصدرتها ثم إنها ... تعود فتأتى من تحيت ومن عل
وأستف ترب الأرض كى لا يرى ... على من الطول امرؤ متطول

فقوافى هذه الأبيات هى :

(أعجـل) = (اعجلـو)

أى متحرك فساكن فمتحركان فساكن متولد من ضمة اللام ـ ا ـ ـ ا

(من عل) = (من علو)
أى متحرك فساكن فمتحركان فساكن متولد من ضمة اللام ـ ا ـ ـ ا
(طـول) = (طـولـو)
أى متحرك فساكن فمتحركان فساكن متولد من ضمة اللام ـ ا ـ ـ ا

وهكذا نرى أن القافية قد تكون كلمة كاملة ، وقد تكون كلمتين ، وقد تكون بعض كلمة ، بينما الروى حرف واحد تنتهى به جميع أبيات القصيدة وهو اللام هنـــا .

وكما ان اختلاف حركة الروى عيب عروضى يسمى الاقواء وعدم توحيد حرف الروى عيب يسمى **الاكفاء** ان كانت الحروف متقاربة فى النطق ويسمى **الاجازة** ان كانت الحروف متنافرة ، فان اختلاف القافية عيب عروضى غير جائز ولم يقع فيه اى شاعر عربى ـ فيما أعلم ـ ولم أجد شعرا اختلفت فيه القافية غير هذين البيتين الدائرين فى كتب العروض .

اذا أنت فضلت أمرءا ذا نباهة على جاهل كان المديح له نقصا
ألم تر أن السيف ينقص قدره اذا قيل : هذا السيف أمضى من العصا

فالبيت الاول ينتهى (بمفاعيلن) والبيت الثانى ينتهى (بمفاعلن) وهذا لا يجوز فى الشعـــر .

والحقيقة ان هذا التدقيق العلمى من الخليل ـ وممن جاء بعده من العروضيين ـ لا لزوم له اذ هو بديهى لان الشاعر لا يمكن ان يخرج عن جميع حركات وسكونات البحر من أول البيت الى رويه الا بالمقدار الذى يسمح به علم العروض من حذف ساكن او تسكين متحرك ولذلك قال بعضهم : « **البيت كله هو القافية لانك لا تبنى بيتا على انه من الطويل ثم تخرج منه الى البسيط ولا الى غيره من الاوزان . ومنهم من جعل القافية القصيدة كلها وذلك اتساع ومجاز** » (2) .

ومهما يكن من أمر فان التعريف الذى ذكرناه للقافية والروى هو التعريف العلمى ، ولكن معظم الناس يعرفون أن القافية هى الحرف الاخير الذى تنتهى به أبيات القصيدة الواحدة ، وسميت بهذا الاسم لانها (تقفو) أثر كل بيت او لان الشاعر يقفو اثرها (3) .

وبما أن معظم الادباء يستعملون كلمة القافية بمعنى الروى فانى سأستعملها فى هذا البحث بهذا المعنى لسببين الاول : لانى لا أريد أن أعاكس ذلك القول

« خطا مشهور خير من صحيح مهجور » ٠والثاني لاني سأنقل عن بعض مشاهير الادباء كلمات في هذا الموضوع ، وهم يستعملون كلمة القافية بمعنى الروي ، وأنا لا احب أن يتبلبل فكر القارىء بين هذين اللفظين ٠

(رأى معرب الالياذة فى القافية) (أى الروى)

يقول سليمان البستاني في مقدمة تعريبه لالياذة هوميروس : « **القافية ليست من لوازم الشعر في اللغات ، فالفرنسوية لا يصلح شعرها بدون قافية والانكليزية فيها الشعر المقفى وغير (المقفى) ومثلها الايطالية والالمانية ٠ فبهذا الاعتبار نقلت الالياذة الى لغات الافرنج بالشعر المقفى كترجمة « بوب » والشعر غير المقفى كترجمة (منتي) وأما الاصل اليوناني فهو موزون غير مقفى، وقافية كل بيت قائمة بنفسها ، لا تراعى فيه المماثلة لاية قافية كانت من القصيدة او النشيد ٠**

والعربية لا يصلح شعرها بدون قافية لانها لغة قياسية رنانة يجب أن يراعى فيها القياس والرنة ٠ وفيها من القوافي المتناسبة ما يتعذر وجود نظيره في سائر اللغات ، فلا يسوغ لها ان تبرز عطلا مع توفر ذلك الحلى الشائق ٠ فاذا اقتصر الافرنجي على صوغ شعره كالرجز العربي لكل شطرين قافيتان متناسبتان ينتقل منهما الى غيرهما ، واضطر الى تكرارهما بعد حين،او لواختار أن يعرى شعره من القوافي بتاتا فعذره في ذلك ان لغته هكذا خلقت ٠ بل لو أجهد نفسه في مواضع كثيرة لتعذر عليه تعزيز قافيتين بثالثة ٠ والشاعر العربي بخلاف ذلك فان كثيرا من ضروب القوافي تنهال عليه انهيال الغيث٠ واذا انحبست فلا تنحبس الا لقصر باع ، او لقرع باب ضيق ٠ او لتجاوز الحد في اطالة القصيدة المنظومة على قافية واحدة » (4)

ولا احب ان ارد على هذا الكلام لانه صحيح الى حد بعيد نظريا ، ولكن سليمان البستاني وجد نفسه مضطرا الى التخلى عن وحدة القافية عندما عرب الالياذة شعرا فنوع القوافي وعددها ، واستعمل النظم الشائع من قصائد وتخاميس وأراجيز ، وسلك مسالك أخرى دعاها بأسماء رأى أنها تنطبق عليها وهي : المثنى والمربع والمثمن أو المربع المسمط والموشح المسبع والموشح المثمن والموشح المردف ، والمستطرد ومصرع المتقارب (5) ومصرع الرجز (6) ٠

قلت انى لا اريد أن أرد على كلام البستاني المتعلق بالقافية لأني ساكتفى هنا برد البستاني نفسه في نفس تلك المقدمة اذ يقول :

« رب من ترجو به دفع الأذى   عنك ، يأتيك الأذى من قبله

فقد ياتي الضرر من حيث يرجى النفع،فان اتساع القوافي في اللغة العربية من جملة أسباب التضييق على الشعراء ، إذ مهما طال الشاعر باعا فلا يأتي على عدد معلوم من الأبيات حتى يكاد يستنزف القوافي السائغة • ولهذا كان من المستحيل نظم الألوف المؤلفة على قافية واحدة • وهذا من جملة اسباب ضعف الشعر القصصي في العربية • واذا فرضنا وجود قافية تتسع لمثل هذا المجال فالأذن تمل توالي النغمة الواحدة لأطيب الألحان • فهذه تائية ابن الفارض الكبرى ـ وقل من يقرؤها مع ان حفاظ شعره يعدون بالألوف كما أبنا في مواضع أخرى ، وإذا لجانا الى الرجز في مثل هذا السياق الطويل فلدينا من سائر البحور ما يفوقه جزالة في بعض المواقف ، وقوة في مواقف أخرى • » (7)

وهكذا اتضح للبستاني نفسه أن كثرة القوافي في العربية مسالة نظرية سرعان ما أثبت التطبيق بطلانها •

أضف إلى ذلك أن الحروف العربية على حد سواء في كثرة **القوافي فهناك** حروف لا تكاد تجد فيها أكثر **من قافيتين أو ثلاث متشابهة مثل حروف** : الذال والطاء والضاد والظاء والشين والزاي والخاء والجيم • **واليك هذه** الاحصائية السريعة عن الحرف الأول من هذه الحروف وهو (الذال) :

كتاب الكامل للمبرد بأجزائه الأربعة : 5 أبيات قافيتها حرف (الذال)

كتاب الأمالي للقالي بأجزائه الأربعة مع الذيل والتنبيه : بيتان قافيتهما حرف (الذال)

ديوان سقط الزند للمعري بأجزائه الخمسة : لا يوجد فيه بيت واحد قافيته (الذال)

ديوان امرىء القيس : لا يوجد فيه بيت واحد على حرف (الذال)

ديوان المتنبي بأجزائه الأربعة : فيه قصيدة واحدة ذات 17 بيتا (ذالية) وقد استخدم فيها الكلمات التالية كقوافي : هذا ـ الأستاذا ـ جذاذا ـ بني يزداذا ـ فلاذا ـ استحواذا ـ الفولاذا ـ معاذا ـ ذا ـ رذاذا ـ الأفخاذا ـ بغداذا ـ كلواذا ـ الآزاذا ـ مالاذا ـ الانفاذا ـ لاذا ـ أخاذا •

والملاحظ أن كثيرا من هذه القوافي كلمات دخيلة على العربية كالأستاذ وبني يزداذ ـ والفولاذ ـ و (بغداذ) ـ وكلواذ والآزاذ •• **وقد اضطرته** القافية إلى أن يقول مثلا :

فغدا أسيـرا قد بللت ثيـابه   بدم ، وبل ببوله الأفخاذا (!) (8)

ولو قمنا باحصائيات مماثلة حول الحروف المذكورة لما وجدنا الأمر يختلف عن حرف (الذال) ٠

وهكذا يتضح لنا أن القافية ليست متوفرة فى جميع الحروف على حد سواء٠

(رأى صالح جودت فى القافية)

ويدعم كلمة البستانى الأولى التى أوضح فيها اتساع العربية وكثرة قوافيها الشاعر صالح جودت فى حديث علق به على زيارة إلى «جامعة آيوا» بامريكا(؟) حيث تجول فى ورشة الشعر وورشة (9) القصة واتصل بأساتذتها وطلبتها وطالباتها وقرأ عليهم شعرا عربيا عموديا فى لغته الأصليـة ومترجمـا الى الانجليـزية « **فكانـوا مأخوذين بموسيقى الشعـر العـربى وغنى اوزانـه وقوافيه** » ٠٠٠ وحينما عاد « البروفيسور أنجل » الى الورشة بدانا نتحـدث جميعا عن قيمة الوزن والقافية فى الشعر العربى ٠ وأبدى دهشته حينمـا قلت له إن الشاعر العربى يستطيع أن ينظم قصيدة من مائة بيت أو أكثر ، بقافية واحدة لأن اللغة العربية من أكثر لغات العالم غنى بالألفاظ ٠

ويواصل صالح جودت فيقول : « **وهنا حل لى البروفيسور أنجل المشكلة التى حيرتنى فى السنوات العشر الأخيرة ٠٠٠ مشكلة الشعر الجديد ٠٠٠ المجرد من الوزن والقافية ٠ حلها حينما قال لى : إن اللغة الانجليزية كغيرها من اللغات الأوروبية لا تتوفر لها هـذه الثروة اللفظية الموجودة فى اللغـة العربية ، ولا يستطيع الشاعر أن يجد عشرين كلمة يصنع منها قافية واحدة فى قصيدة ٠٠٠٠ ولو وجدت عشرون كلمة من هذا النـوع لاستخدمهـا كل شاعر ، ولتكررت فى قصائد جميع الشعراء ، لهذا يلجأ الشعراء الاوروبيون إلى الشعر الحر والشعر المرسل** » ٠

وسألت نفسى : ولماذا يلجأ شعراؤنا الجدد إلى هـذا اللون من الشعر ؟

قالت لى نفسى : لأن شعراءنا الجدد لا يعرفون اللغـة العـربية ٠٠٠ ولا يقدرون ثروتنا اللفظية ٠٠٠ لا يعـرفون ـ مثلا ـ أن حكـاية الجنس (؟!) (كذا) ـ كما أكد لى أستاذنا على الجندى عميد دار العلوم السابق ـ لهـا ثلاثون ألف كلمـة فى لغة الحجـاز وحدهـا ٠٠٠ بله سائر لغات القبائـل الاخرى (!!) لا يقدرون مثلا أن كلمة (الأسد) ليس لها إلا مقابـل واحد فى اللغة الانجليزية وهو(LION) أما فى اللغة العربية فهناك الأسد والسبع والهزبر والرئبال والقسورة و ٠٠٠ و ٠٠٠ الخ » (10)

وكلام الشاعر صالح جودت هذا يبدو أنه صحيح لأول وهلة ولكن لنعد إليه لننظر اليه جزءا جزءا :

1) يقول جودت : « حل لى البروفيسور أنجل المشكلة التى حيرتنى .... مشكلة الشعر الجديد المجرد من الوزن والقافية » وهذا غير صحيح لأن الشعر الجديد ليس مجردا من الوزن والقافية فهو موزون على احدى التفعيلات السبع التى تكون البحور التالية : الرمل والرجز والهزج والوافر والكامل والمتقارب والخبب .

فالشعر الحر موزون ولكنه متحرر من عدد معين لهذه التفعيلات وهو ايضا مقفى فى أكثر الأحيان كما سنرى بعد حين .

2) ويواصل جودت : « **أن اللغة الانجليزية كغيرها من اللغات الاوروبية لا تتوفر لها هذه الثروة اللفظية الموجودة فى اللغة العربية ، ولا يستطيع الشاعر أن يجد عشرين كلمة يصنع منها قافية واحدة فى قصيدة.. ولو وجدت عشرون كلمة لاستخدمها كل شاعر ولتكررت فى قصائد جميع الشعراء ، لهذا يلجأ الشعراء الاوروبيون إلى الشعر الحر أو المرسل** » .

إن العربية كثيرة المترادفات بالفعل وفيها ألفاظ كثيرة تنتهى بحروف واحدة ولكن هذه الميزة ليست فى جميع الحروف كما سبق أن أشرنا منذ قليل .

ثم إن القوافى فى العربية أيضا يستخدمها جميع الشعراء فى اللغة العربية الغنية بالقوافى . كما هو الشأن فى الانجليزية القليلة القوافى .

3) قلت انه ليس من الضرورى ان يكون الشعر الحر خاليا من القوافى فكثيرا ما رأينا شعرا حرا تلتزم فيه قافية واحدة من أول القصيدة الى نهايتها (11) ولجوء الشعراء ـ العرب وغير العرب للشعر الحر ـ ليس لعدم وجود القوافى بل هو تحرر من وحدة أطوال الأبيات لا من التزام القافية أو الروى ، ففى الشعر الحر تختلف أطوال السطور فتارة تتكون من تفعيلة واحدة وتارة من عدة تفعيلات ، حسب المعانى والدفقات الشعورية (12)

فاذا كتب الشاعر صالح جودت نفسه قصيدة بقواف (ثنائية) مثلا فهل لنا أن نؤاخذه على ترك القافية الأولى والانتقال إلى قواف أخرى بحجة أنه كان يستطيع كتابة كامل القصيدة على الروى الأول ؟! طبعا لا لان هذا لون من الوان التقفية .

وكما كتب صالح جودت الثنائيات والثلاثيات والرباعيات ۰۰۰ كتب العقاد أيضا وغيرهما من المتعصبين للقديم ضد كل جديد ۰۰۰ ولم تجد هذه الجماعة من نبهها ولا نبهت هى نفسها إلى أن العربية كثيرة الألفاظ وان عليها أن تكتب شعرها على روى واحد نظرا لكثرة الألفاظ والقوافى ولطول باعهم فى اللغـة العـربية ۰

4) أما قول صالح جـودت : « **إن شعراءنا الجدد لا يعـرفون العـربية ولا يقدرون ثروتها اللفظية ۰۰۰۰ ولا يقدرون مثلا أن كلمة الأسد ليس لها إلا مقابل فى الانجليزية وهو (LION) أما فى العربية فهناك الأسـد والسبـع والهزبر والرئبال والقسوة و ۰۰۰ و ۰۰۰ الخ** » فانى أتسـاءل أولا : مـاذا يعنى صالح جودت بقولـه : إن شعراءنا لا يعرفـون العربيـة ولا يقـدرون ثـروتها ۰ ؟ !

« وقد سئل السيد الحميرى (الشاعر المعروف) : مالك لا تستعمل فى شعرك من الغريب ما تسأل عنه كما يفعل الشعراء ؟ فقال : لأن أقول شعرا قريبا من القلوب يلذه من يسمعه خير من أن أقول شيئا متعقدا تضل فيــه الأوهــام » (13)

وعندما اطلع على ديوان صفى الدين الحلى أحد الأدباء المعـاصرين لـه ، قال عنه : « لا عيب فيه إلا أنه يخلو من الالفاظ الصعبة » فبلغ ذلك الكـلام الحلى فقـال :

إنمـا الحيزبـون والدردبيس والطخـا والنقـاخ والعلطبيس
والحـراجيج والشقحطب والصقـــعب والعنقفيـز والعنتـريس
والعطـاريس والعفنقس والعفـــلق والجربفيض والعيطموس
والسبنتى والحقص والهيق والهجـــرش والطرفسان والعسطوس ۰۰
لغـة تنفـر المسامـع منهـا حين تروى ، وتشمئز النفـوس
وقبيح أن يذكـر النافـر الوحـــشى منهـا ويتـرك المأنوس

فاذا كان جودت يريد أن يعرف شعراؤنا هذه الألفاظ فأنا لا أوافقه على هذا الرأى ، ولا أسمح لنفسى ولا أستسيغ من شاعر معاصر استعمـال أمثال هذه الألفاظ الوحشية التى ربما كانت حيـة فى يوم ما فى بوادى الجزيرة العربية ثم ماتت لأن الذوق أبقى على الألفاظ التى تستحق الحياة واهمل الألفاظ التى لا تستحقها إلى أن ماتت ثم دفنها اللغويون فى بطون القواميس ، و (جودت) نفسه لا يعرف معانى تلك الألفاظ وأشباهها ولا يستعملها فى شعـره ۰

وأتساءل مرة أخرى عن جدوى كثرة أسماء الأسد كالسبع والهزبر والرئبال والقسورة و ... و ... الخ في ميدان القافية إذ ليس في هذه الأسماء الخمسة المذكورة من أسماء الأسد كلمتان يمكن أن تكونا قافيتين في قصيدة واحدة لعدم توافقها في الحرف الذي تنتهي به . وهكذا الشأن مع جميع المترادفات والكلمات التي تؤدي معنى واحدا ... ولو افترضنا أن هناك مجموعة من المترادفات ذات نهايات واحدة ، فهل يجوز لشاعر أن ينهي مجموعة كبيرة من الأبيات بكلمات مختلفة اللفظ متحدة المعنى ؟ ! طبعا لا .

ونشير في النهاية إلى أن التحرر من القافية ليس من خاصيات الشعر الحر – الذي لا يخلو بدوره من القافية – فقد تحرر من القافية حتى الشعراء الذين يكتبون شعرهم « صدرا وعجزا » أمثال : جميل صدقي الزهاوي وعبد الرحمن شكري وزكي أبو شادي وغيرهم من الشعراء ، وعسانا نتعرض لهذا النوع من التحرر في مقال آخر .

نابل – نوفمبر 1964

ن. ص.

التعليقات :

1) العمدة لابن رشيق ج 1 ص 129
2) المرجع السابق ص 131
3) المرجع السابق
4) مقدمة تعريب الالياذة لسليمان البستاني – أنظر الروائع عدد 44
5) استطاع الفرس بهذه الطريقة أن ينظموا الملاحم مثل الشاهنامة للفردوسي ... والبستان لسعدي الشيرازي ... وغيرهما .
6) مقدمة الالياذة للبستاني .
7) المرجع السابق
8) شرح ديوان المتنبي ، وضع عبد الرحمن البرقوقي ج 2 ص 186
9) الورشة : كلمة عامية مصرية بمعنى المصنع أو المعمل . وهي لا تليق بالأدب والشعر .
10) مجلة المصور عدد 2089 بتاريخ 1964/10/23
11) انظر مثلا : ديوان قصائد لنزار قباني : أوعية الصديد ، طوق الياسمين ، الى أجيرة .... وغيرها ....
12) أنظر مجلة الفكر – لصاحب هذا المقال – السنة 10 – عدد 3 – وأنظر قضايا الشعر المعاصر لنازك الملائكة .
13) الأغاني . لأبي الفرج الاصفهاني ج 7 ص 248

أمـــوال

شعر : محمد الحبيب الزناد

بِـاسْمِ الامْطَـارْ
تَنْـزِلُ عَلَيْنَـا
تَنْزِلُ تَنهَـارُ بِشِـدّهْ
عِنْدَ فَـوَاتِ الاوَانْ
وَفِي فَصْلٍ غَيْرِ ذِي جَدْبٍ وَلاَ شِدّهْ
فَهِيَ بَـوْلُ الاطْفَـالْ
وَهِيَ الغِرْبَـالْ
يُسْقِطُ كُلّ مَـا فِيهْ
وَهْيَ بُكَـاءُ مَنْ تَرَبَّى عَلَى الرّخَـاءِ وَالدّلاَلْ

* * *

بِـاسْمِ الامْطَـارْ
تَنْسَانَـا وَقْتَ الحَـاجَـهْ
عِنْدَمَـا نَكُونُ فِي لَجَـاجَـهْ
وَحِينَ تَكْثُرُ البِطَـالَـهْ
وَتَصْعَدُ أَسْعَـارُ الزَّيْتِ وَ « الخُضْرَهْ »
وَيَتَحَوّلُ الحَمَّالُونَ فِي الاسْوَاقِ إلَى دَجَّـالَـهْ
فَهْيَ الخَـوْفُ يَصِلُ حَدّ الكُفْـرْ

وَهْيَ تَعْذِيبُ مَاءِ البَحْرِ
وَهْيَ صَلاَةُ الإِسْتِسْقَاءِ تُرِكَتْ وَبَادَتْ

* * *

بِاسْمِ الامْطَارْ
تَنْزِلُ رَذَاذاً
تَزخُّ زَخَّاتْ
تُدَاعِبُنَا تُلاَعِبُنَا
تَمْسَحُ عَلَى وُجُوهِنَا .
فِي وَقْتٍ لاَ يَسْمَحُ بِالمُدَاعَبَهْ
فَهْيَ الطِّفْلَةُ اللاَّعِبَهْ
تُثِيرُنَا
وَلاَ تَجُودُ عَلَيْنَا بِالوِصَالْ
وَهْيَ البُومَةُ النَّاعِبَهْ
عَلَى خَرَائِبِ حُزْنِنَا

* * *

بِاسْمِ الامْطَارْ
أَكْتُبُ أَكْتُبُ أَكْتُبُ هَذِهِ الاشْعَارْ
وَلاَ أَقْلَقْ
حَتَّى أَعْرِفَ السِّرَّ
فِي اسْتِوَاءِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارْ

م. ح. ذ.

تونس في 14 ماي 1970

ادب القوة والامل

بقلم : رمضان لاوند

اذا كان ادب الامة اشبه بالمرآة المقعرة التى تنعكس عليها جملة المشاعر والعواطف والافكار عند جمهور افرادها على السنة الناطقين من ادبائها ... واذا كانت الاحداث المتعاقبة فى حلوها ومرها هى التى تعين الالوان الفكرية والصور ...

واذا كانت هذه الاحداث هى تلك التى عرفها العالم العربى فاستيقظ بها على فنون من الوقائع القارعة وصنوف من الصور المنكورة فحرى بادبنا العربى ان يكون الناطق الامين لكل ما نواجهه اليوم على النحو الذى يحض على استجماع القوة وتوحيد الصف وسقى نبتة الامل التى لفحتها ريح السموم فتستعيد خضرتها بالامس وتستقبل دفء الحياة وقوة الفتوة .

والواقع ان تسارع الاحداث قد نقل الادب العربى نقلة سريعة حادة . فاذا بالادباء كلهم على مختلف طبقاتهم يستشعرون ضغط الظروف ويحسون ان عليهم الاستجابة للتحديات التى تواجههم بكل ما فيها من عنف وصخب والحاح . فهم فى حركة مستمرة تتردد الصور فى اذهانهم وتنمو الافكار فى عقولهم بسرعة لا تقل عن سرعة الاحداث . أنهم يبادرون بابعد مما تستجيب لهم شروط العمل الفنى ، الى تسجيل ردود الفعل التى نبتت فى نفوسهم وبرزت فى وعى كل منهم . يسجلونها دون الاهتمام بما يفرضه هذا العمل الفنى من الروية والصناعة وطول الاناة . ذلك انهم يؤمنون بأن الفن هو المحتوى الروحى والردود النفسية قبل ان يكون العبارة الصناع والصورة المختارة والفكر المتأنق .

ان أدبنا اليوم هو أدب المعركة . وسلاحه الذى يشهده ويستعين به هو سلاح المعركة . ولما كان أدب المعركة وسلاحها نابعين من طبيعة الاحداث التى تواجه الجنود فى الميدان على نحو مرتجل فى بعض الاوقات بحيث يضطرون للرد عليها الى الاستعانة بكل سلاح حتى السلاح الابيض ، بسكين المطبخ والقتال باليد فان أدب المعركة هو ذاك الذى يبادر أصحابه الى الاستعانة بكل سلاح مهما تكن طبيعته فلا يبالون بخطة التأنق فى الاداء والجمال فى التعبير

والتجويد فى اختيار الالفاظ والصور بل ينطقون مع السجية ويتركون لهـا فرصة الاختيار بعفوية وبساطة وصدق ٠

فى ضوء الاحساس بزحمة الاحداث وضغط الوقائـع القارعـة انطلقـت الاقلام هنا وهناك فى كل قطر عربى شارك فى المعركة على صورة من الصور ٠ حتى لكأنها فى سباق مع الزمن الذى تغيرت مقاييسه وابعاده فكادت الايـام منه تصبح ساعات والساعات دقائق والدقائق لمحات كلمح البرق الخاطف ٠

وقد استقبلت الصحف اليومية والمجلات الاسبوعية حصيلة هذه الاقـلام ٠ وكذلك الاذاعات وشاشات التليفزيون التى كانت فى بعض الاوقـات اسرع من المجلات والصحف فى نقل الخواطر وطرح الصور الادبية التى تعكس شعور الملايينّ وفكرها وردود الفعل التى تميزت بها امام الوقائع المتلاحقة ٠

والواقع ان الخواطر الادبية وما يرافقها من الصور واللوحات الفنية قـد كانت خلال ايام الحرب او التى عقبتها حتى اليوم برهانا دامغا عـلى ان روح الامة الحقيقية هى تلك التى تبرز معالمها فى الازمات والكوارث ٠

واذا كنا نشعر بروح التفاؤل فلأن خواطرنا الادبية وما رافقها من الصور واللوحات الفنية لم تتساقط امام الازمات ولم تردعها الصدمات بل احتفظت بالاخلاق القوية وبالامل الفتى الاخضر الذى تتميز به الشعوب ذات التـراث القوى والايمان العميق بالذات ٠

وقد كان غير العرب جديرين بالانهيار والاستسلام الى اليأس لو اجتمـع عليهم بعض ما اجتمع على العرب من البأساء والضراء ٠ والفضل فى صلابـة العربى وفى قدرته على الارتفاع الى مستوى الاحداث لا فى فنه وحسب ولا فى ظروفه المعاشية فقط بل فى كل اقطار حياته وعلى كل مستويات المسؤوليات التى تواجهه ، ان الفضل فى هذا كله يعود الى ما يحمله الشعب العربى فى اعماق ذاته من وجدان فنى وثقة بالمستقبل وايمان بقدرته على الانتصار مهمـا تكالبت عليه النوائب وتجمعت ضده الظروف السيئة والنكبات ٠

ان ادب القوة والامل الذى تنطلق به اقلام الادباء اليوم هو وحده الذى يعلن غربة الوقائع عن الخط التاريخى الطبيعى والاساسى للأمة العربية ٠

انه يثبت ان النار التى تلتهم الفحم ٠ وتحيله رمادا لا حياة فيه ، هى نفسها التى تسقى الحديد فتجعله فولاذا شديد الصلابة ٠

ولعلنا فى غير حاجة الى القول بأن نيران الكوارث التى اصابت العرب عبر سنين طويلة بل اجيال متعددة لم تأت عليهم ولم تسكت صرخة الاحتجاج ورفض التحديات الخارجية عندهم · انها على الضد من ذلك تبدولنا وكأنها المناسبة الفريدة العجيبة التى يخرج منها المعدن العربى اقوى على مواجهة صروف الزمان واكثر املا فى النصر ·

وما هو التاريخ الحقيقى للامة ان لم يكن صنيعة هذا الامل الاخضر وتلك القوة فى الاخلاق والافكار والمشاعر ؟

ان التاريخ ادبا كان او سياسة او اجتماعا او اقتصادا او فلسفة هو حصيلة الفكر الفتى والخضرة التى لا تذبلها الرياح الساخنة وعواصف السموم بل هى ابدا الينبوع الذى لا ينضب والذى يزود اصحابه بالمزيد من العزم والمزيد من الايمان ···

فسقى الله الكوارث كل خير حين تكون مصدرا لمزيد من التوعية ومناسبة لسبر الاغوار الروحية الفنية عند المواطنين ·

والحقيقة ان النظرة السريعة نلقيها على خط سير الامة العربية فى مختلف مواقفها التاريخية كافية لاثبات ان وقائع اليوم التى تقرع قلوبنا وارواحنا هى اداة التاريخ التى تضع الامم امام المصير فتختار بالرد عليها وطريقة الاستجابة لها ان تكون اولا تكون ·

ان كل شىء فى خط العرب التاريخى يعلن عن اصالة هذه الامة وغناها الروحى وخصب التراث الذى انتقل اليها من الاجداد ، وامتيازها بما لا تكاد تمتاز به امة من امم الدنيا فى طبيعة ارضها وسمائها ··· وفى موقعها عن بقية الارضين والسماوات ·· فى ذكريات المواقف التاريخية التى حفظت لها ·· فى المواطن التى تهوى اليها قلوب الملايين من المسلمين العرب وغير العرب ·· فى الادوار التى لعبتها الجماهير من فوقها ·· فى التضحيات السخية التى قدمتها هذه الجماهير دون من او أذى ، وفى وقفات العز التى سمعت بها اقدار الرجال ممن صنعوا لانفسهم ولاحفادهم من بعدهم اكاليل الغار وتصادت بانبائهم طبول النصر ···

كل هذا الخط الطويل الحافل بالروائع هو القوة الاحتياطية الضخمة التى تزود عرب اليوم بما يحتاجون اليه من القوة والامل ·· وليس الادب الذى تسجله اقلام عربية فى الحاح كالحاح الاحداث والوقائع القارعة غير التعبير الدقيق الامين عن القوة والامل ···

وطبيعى اننا لا نقصد هنا ادب المحترفين لصناعة القلم وحسب ممن سارت بهم ركبان الشهرة بل نقصد ذاك الذى تتمخض عنه روح الامة على لســـان الفتية ممن يمثلون حقيقتها وصلابة المقاومة فيها واغوار الايمان بالمصير فى فؤادهـــا ٠

ان كل من يستمع الى ما يقال فى أوساط الفتيان المحتجين ويستمع الى ما يقال فى طبقات الكهول يرى بعين بصيرته ابعاد الملحمة التى تستعد الجماهير العربية لخوضها فى حدود الاطار الزاهى الفنى الذى ترتسم ابعـاده باقـلام الناثرين والناظمين من الكتاب والشعراء ٠

حقيقة اساسية واحدة يمكن ان نخرج بها بعد الملاحظة الدقيقة الامينة لما تنكشف عنه صور ادب الحرب هو ان الكوارث فى تاريخ الامم ذات التـراث العريق هى سنة الله فى سقى الحديد ليخرج من عملية السقاية هـذه فولاذا لا تنبو مضاربه ابدا ٠

ان أدب القوة والامل هو أدب الأمة الحية ونحن واثقون بأن أمة العـرب هى امة الاحيـــاء ٠

ر٠ لا٠

قرقرية الوجه الحجري

شعر : الطاهر الهمامي

قـد تَقِفُ الارْضُ
وقـد ينشفُ الـدّمُ
ويسقُطُ النّبْـضُ
ولاَ أعِـي .

قـد أصبحُ شارعـا من الشوارعِ
تمشي عَلَـيّ
تَدُوسُنِي عَـرَبَتـه
عـربَـةُ الـزّمَـانِ الـفـاجعِ

أنـا يَـا العـوالِـمَ المُنْقَلِبَـه
يَـا الضّجِـيجَ
يَـا الجَلَبَه
يَـا انهيـارَ هـذه العِمَـارَه
يـا الاسمنتَ البـاردَ ، يـا العيونَ المستعـارَه
يـا اختنـاقَ الصّوت
يـا انتصارَ المـوتِ في العبـاره
يـا الحضـارةَ الخربـه
يـا الحضارَه

أخشى أنـا
أخشى أن أصْبحَ مُحرّكَ سيّارَه
أخشى أنـا
أخشى أن أصيرْ
أصيرَ جِدارْ
أحِسُّنِي أبَيَّضُ بالجيرْ
وتُعلَّقْ
على وجهي تُعلَّقُ المناشيرْ
ويَكْتُبُ الصّغارْ .
وقدْ أعلَّبْ
فأصبح عُلْبَةَ سرديِنْ
مثلا ،
وقدْ أصبحُ حذاء من الاحذيه
أقلَّبْ
وقدْ أُباعُ وقد أُسْرَقْ .
وقدْ أعْرَضُ في واجهةٍ بلّوْريّه
أتحوّلْ
أتحوّلُ معروضةً سياحيّه
وقدْ يُكتَبُ عليّ بالطّباشير
فوقَ سلْعَةٍ خضّارْ
وقد أصبحُ حجَرا من الاحْجار
أتجمّدُ أتجمّدْ
وقد أصْبحُ قطعةَ قصْديرْ
يشربُها البرْدْ

ويُسَكْسِكُ عليهَا المَاء
مَاءُ الشتاء

وقد أصبحُ قِرْدْ
وقد أصبحُ ... أصْبحْ
وقد أعْوي وقد أنْبَحْ
في زَحْمَةِ هذهِ المَدينه

أنَا ،
وقد أمُوءُ مُوَاء
مُوَاءَ قِطَّةٍ حزينه .

ط.ه.

اللغة العربية : ما هي وكيف ننهض بها ؟

بقلم : أحمد العايد

في نطاق السنة العالمية للتربية وتحت إشراف اللجنة التونسية لليونسكو وقسم اللسانيات بمركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية التابع للجامعة التونسية ألقى السيد أحمد العايد أستاذ اللغة العربية بكلية الآداب هذه المحاضرة (1) يوم الجمعة 24 افريل 1970 بدار الثقافة ابن رشيق بتونس ·
ونظرا لقيمة هذا البحث ولما تبعه من نقاش فاننا ننشر النص الكامل لهذا الموضوع الحيوي ·

إن سنة 1970 هي السنة العالمية للتربية وهذا الاختيار يحملنا هذه السنة في تونس كما يحمل غيرنا في جميع بلدان العالم على أن ننظر في مواضيع التربية نظرة التأمل والحيرة ومن المواضيع التي احتار لها الفكر البشري وقلق لها المربي العربي موضوع اللغة العربية لا سيما وأن هذه اللغة قد اقتحمت اليوم أبواب المنظمات الدولية وأصبحت من اللغات المتعامل بها ، فبحثنا سيكون عن لغتنا العبية : ما هي ؟ وكيف ننهض بها ؟

اللغة العربية : ما هي ؟

سأجيب بسرعة عن هذا السؤال الاول : ان اللغات اليوم تنقسم الى فصائل ثلاث :

1) الهندية الاوربية (منها مثلا اليونانية واللاتينية والفرنسية) ·

2) الحامية السامية (منها الحامية نذكر مثلا البربرية ومن السامية نذكر مثلا الآرامية والعربية) ·

---

(1) قدم المحاضر واشرف على النقاش الاستاذ محمد بكير مدير العلاقات الخارجية بوزارة التربية والشباب والرياضة ورئيس اللجنة التونسية لليونسكو ·

3) اللغات الأخرى وقد فصلت الى تسع عشرة أسرة نذكر منها اللغات اليابانية ، الصينية ، التركية ، الامريكية ، الخ ٠

كذلك صنفت اللغات تصنيفا آخر فكانت اللغات الفاصلة واللاصقة والمتصرفة :

1) اللغات الفاصلة (1) Langues isolantes : هى اللغات التى لا تتغير فيها مادة الكلمة حيثما كانت فى التركيب أما العلاقة الصرفية والنحوية بين كلمة وأخرى فتضبط حسب محل الكلمة فى الجملة لا بتصريفها او باعرابها ، مثلا فى اللغة الصينية يقال :

خرج أنا = خرج(ت)
منح أنا = منحن(ى)
سيارة أنا = سيارت(ى)

2) اللغات اللاصقة (2) Langues agglutinantes : هى اللغات التى لا تتغير فيها المادة ، إنما يزاد عليها فى أولها أو فى آخرها صدور أو كواسح لمعان مختلفة كالتركية او المجرية او الانقليزية (مثلا فى الانقليزية reason (عقل) reason(able) (عاقل ، معقول ٠٠٠) reason(ing) (البرهنة ، الاستدلال ٠٠٠) (un)reason(able) (غير معقول) الخ ٠

3) اللغات المتصرفة (3) Langues flexionnelles : هى اللغات التى تتغير فيها المادة أو تتغير حركات حروفها أو يزاد عليها صدر أو حشو أو كاسحة (préfixe infixe, suffixe) وكلما كان تغيير اختلف المعنى ٠ ومن هذه اللغات اللغة العربية وهى أحسن مثال للغات المتصرفة اذ نستطيع نظريا أن نشتق من مادة خ ل ف 120 كلمة تقريبا ٠

هكذا نستنتج ان اللغة العربية لغة سامية متصرفة معربة واذ هى معربة فهى صعبة لكنها ليست أصعب اللغات ٠

---

(1) انظر : معجم المصطلحات اللغوية لمروزو ـ ص 119 ٠
J. Marauzeau : Lexique de la terminologie linguistique (Paul Geuthner) 2 édition Paris 1969 p. 119

(2) انظر المرجع نفسه ـ ص 13 ٠
(3) انظر المرجع نفسه ـ ص 96 ٠

كيف ننهض بها ؟

لن أتعرض فى حديثى اليوم عن اللغة العـربية ومجـدها ، عن عبقـريتها وشمولها ، عما هى عليه من تأثير وسحر ، عن مستوى بلاغتهـا وروعتهـا عن إعجاز القرآن اللغوى : قال تعالى : « وإنه لتنزيل رب العالمين ـ نزل به الروح الأمين ـ على قلبك لتكون من المنذرين ـ بلسان عربى مبين ـ (1) وعن انتشارها وانبثاثها بفضل الاسلام .

كذلك لن أتعرض إلى نهضتها فى القرون الوسطى بفضل وسائلها الخاصة من اشتقاق الى نحت الى تضمين الى مجاز الى تعريب ، كذلك لن أقف عند المفردات الاجنبية عن العربية فى القرآن الكريم (2) .

ولكنى سأذكر تذكيرا عابرا برواد النهضة الحـديثة كعبد الرحمن الجبرتى المتوفى سنة 1824 وكتابه « عجائب الآثار فى التراجم والأخبار » (1800) .

- كجماعة اول صحيفة عربية : الوقائع المصرية 1828 .
- كرفاعة رافع الطهطاوى المتوفى سنـة 1873 وكتـابه تخليص الابريز الى تلخيص باريس .
- كأساتذة اول كلية للطب بمصر 1826 .
- كأساتذة الجامعة الامريكية ببيروت 1866 .
- كأساتذة كلية الطب بدمشق 1919 .
- كجماعة صحيفة الاهرام الاسكندرية 1875 .
- كجماعة مجلة المقتطف 1876 .
- كجماعة مجلة لغة العرب (ومنهم خاصة الأب انستاس الكرملى ببغـداد 1911) .

وسأذكر كذلك بتاريخ تأسيس المجامع الثلاثة: المجمع العلمى العربى بدمشق (1919)، مجمع اللغـة العـربية بمصـر (1934) ، المجمـع العلمى العـراقى (1947) .

---

(1) سورة الشعراء (192 ـ 196) .
(2) انظر مجلة I. B. L. A. (1968 العدد الثانى) ص : 223 ـ 238 ـ مقالا لى : « ما مصير توصيات مؤتمر الجزائر عن توحيد المصطلحات العلمية » .

وسأشير إشارة سريعة إلى عمل الأفراد الموزعين فى كل الأقطار العربية بتونس مثلا الى أساتذة مجلة المباحث والنشرة التربوية التونسية (1) ونذكر منهم بالخصوص الاساتذة محمد السويسى ، والحبيب زغندة ، وڤوشه ، وأحمد الفانى وسأشير أخيرا الى عمل المنظمات الشاملة لشتى الحركات العملية اليومية : مصطلحات البريد ، القانون ، الطب ... الخ .

وسأقف خاصة عند مرسوم إنشاء « مجمع اللغة العربية الملكى » الذى أصبح « مجمع فؤاد الاول للغة العربية » والذى صار بعد الثورة المصرية « مجمع اللغة العربية » لقد نص فى مرسوم إنشاء هذا المجمع على أن من أهم أغراضه :

« أن يحافظ على سلامة اللغة وأن يجعلها وافية بمطلب العلوم والفنون فى تقدمها ملائمة لحاجات الحياة فى العصر الحاضر ... »

عند اللجنة الثقافية للجامعة العربية التى أخذت على نفسها أن تتبع موضوع التعريب وأذكركم بأن هذه اللجنة أوصت فى دورتها الرابعة عشرة (جانفى 1961) بعقد حلقة لتنسيق حركة الترجمة بين البلاد العربية وبأن مجلس جامعة الدول العربية قد وافق على ذلك فى مارس أفريل 1961 فكان مؤتمر التعريب بالرباط (أفريل 1961) واقتراح إنشاء شعب وطنية للتعريب فى الأقطار العربية . وتكوين المكتب الدائم للتعريب بالرباط ومكتب تابع للجنة الثقافية بالجامعة العربية لتنسيق حركة الترجمة فى الأقطار العربية ويحسن ان نقف الآن قليلا عند المكتب الدائم للتعريب : إنه أعد من 1961 الى اليوم سلسلة من المعاجم العلمية فى الرياضيات والفيزياء والكيمياء والفقه والقانون والأشغال العمومية والسياحة والحبازة والفزانة والصحافة والرياضة البدنية والشغل وشؤون السيارات ومعجم السماكة والأسماك ومعجم الاجهزة والآلات والأدوات ومعجم الألوان ومعجم الألعاب العربية ومعجم أسماء العلوم .

وأصدر ستة أعداد من مجلته « اللسان العربى » .

وهو بصدد إعداد « المعجم العلمى العام » . ولانجاز هذا العمل الضخم جرد المسؤولون :

---

(1) انظر خاصة عدد 3 اكتوبر 1960 عن الرياضيات ، عدد 5 أفريل 1961 ، عن الفيزياء ، عدد 6 جوان 1961 عن الكيمياء .

1) عدة مجموعات لمصطلحات علمية فى شتى العلـوم والفنـون التى نشرت ببغداد او بسوريا او بلبنان او بمصر او بالرباط ·

2) وعدة معاجم خاصة فى علم التربية وفى علم الحشرات (1) ··· الخ ·

نلاحظ أن المسؤولين عن هذا العمل الشاق الطويل جردوا المعاجم العـربية وكتب فقه اللغة : نذكر منها : أ) خاصة الصحاح للجوهرى (332 — 393) ، مقاييس اللغة لابن فارس (المتوفى سنة 395 هـ) ، لسان العرب لابن منظور (630 — 711 هـ) ، تاج العروس للزبيدى (1185 — 1205) ، أقرب المـوارد للشرتونى ، المعجم الوسيط (نشر مجمع اللغة العربية ج 1 سنة 1960 و ج 2 سنة 1961) ، ب) تهذيب الالفاظ لابن السكيت (المتـوفى سنـة 244 هـ) ، والالفاظ الكتابية للهمذانى (المتوفى سنة 300 هـ) ، وفقـه اللغـة للثعـالبى (المتوفى سنة 430 هـ) ، والمخصص لابن سيدة (المتوفى سنة 458 هـ) ونسوا أن ينظروا فى كتب أخرى دونت غير لغة العرب فى الجاهلية وفى صدر الاسلام نعنى الموسوعات (1) كمفاتيح العلوم للخوارزمى (المتوفى سنة 387 هـ) اذ نجد فى هذا الكتاب ما لا نجده عند أصحاب المعاجم من مصطلحات عن العلوم العربية من فقه وكلام ونحو وكتابة وشعر وعروض وتاريخ وعن علوم العجم من فلسفة الى منطق الى طب الى علم العدد الى علم الهندسة الى علم النجوم الى ذكر الافلاك الى الموسيقى الى علم الحيل الى الكيمياء ·

2) ككشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى (المتوفى سنة 1158 هـ/1745 م) اذ نجد فى مجلده الاول مصطلحـات العلـوم العـربية من صـرف ونحـو الخ · ومصطلحات العلوم الشرعية من كلام واصول الخ · ومصطلحات العلوم الحقيقية من منطق وحكمة الخ · ونجد فى مجلده الثانى مصطلحات علوم العجم ···

3) ككشف الظنون لحجى خليفة (1075 هـ / 1648 م) ·

ولعل الساهرين على هذا « المعجم العلمى العام » سيعتمدون هذه المؤلفات الضرورية قريبا وسيضيفون اليها أخرى :

كذيل المعاجم العربية : دوزى (1) ·
كمعجم الألبسة عند العرب : دوزى ·
كزيادات للمعاجم العربية : فانيان (2) ·

---

(1) انظر : مصادر المعجم العلمى العام : مجلة اللسان العربى عدد 6 ، جانفى 1969 ، الرباط ، ص : 483 — 484 ·

Dozy : Supplément aux Dictionnaires arabes (Leiden ed. 1882)
Dozy : Dictionnaire des noms des vettements chez les Arabes
(2) Fagnan : Addition aux dictionnaires arabes, Alger 1923,

كمعجم فيشر Fischer : عن الشعر العربى القديم منذ البداية الى آخر القرن الثالث الهجرى (التاسع للميلاد) .

كمعجم لان LANE الذى أتمه أخيرا الاستاذ سبيتلار SPITALER عن العربية القديمة (1960) .

كمعجم هانس فيهر Hans wehr العربى الالمانى الذى ترجمه كوانCOWAN الى الانقليزية (وهو يحتوى على 45.000 مفردة من العربية الحديثة) .

كمعجم بارانوف Baranow العربى الروسى (موسكو 1962) الذى يحتوى على (33.000 مفردة) .

كالقاموس الروسى العربى الجديد الذى حوى ثمانية آلاف كلمة ضرورية لترجمة النصوص الروسية فى المواضيع الاجتماعية والسياسية والمنزلية وهو يحوى الكلمات والجمل التى كثيرا ما تستعمل أثناء الجولات وزيارات المؤسسات الثقافية والعلمية والمسارح والملاعب الرياضية الخ .

كمعجم العربية الحية : بلا (1) وقد حوى 2700 كلمة مبوبة حسب المعانى .

كالعهد اليمين للمحررين والمترجمين : ليون بارشى (2) وهو معجم احتوى على حوالى 1800 مادة شملت الالفاظ والعبارات العصرية الجارية على أقلام رجال الصحافة العربية والشرقية إتماما لما جاء فى كتاب « الفرائد الدرية » لبولو (Belot)

كالمعجم العربى الفرنسى الانقليزى لبلاشير وشويمى ودنيزو (3) إن هذا المعجم وهو بصدد النشر كراسة كراسة يطمح الى ان يسجل اللغة العربية قديمها وحديثها بذكر ورود المفردة فى القرآن الكريم ، بذكر المعجم ان كانت المفردة شاذة المدلول ، بالتنبيه الى المفردة الحضارية او الى التركيب الغريب بالاستشهاد بتراكيب مشاهير العرب كابن المقفع والبلاذرى والبخارى والجاحظ وابن قتيبة والطبرى والمسعودى وابن خلدون الخ . إن هذا المعجم لمفيد ينبغى الرجوع اليه لما نجد فيه من مفردات دقيقة المدلول مضبوطة التطور وهو مرحلة أولى لمعجم تاريخى كبير (4) أو يكاد .

---

(1) Charles Pellat : l'Arabe vivant Paris 1961

(2) Leon Bercher : Lexique arabe - français avec un index Français - arabe correspondant, Alger 1942

(3) Regis Blachère, Moustapha CHOUEMI, claude DENIZEAU : Dictionnaire arabe - français anglais (langue classique et moderne)

(4) نلاحظ أن رغبة مجمع اللغة العربية فى أن تقوم بوضع معجم تاريخى كبير منذ سنة 1934 لم تتحقق بعد اذ لم يصدر من هذا المعجم الكبير الا جزء واحد فى 500 ص سنة 1956 .

كالمعجم الفرنسي العربي الذي ينوى الاستاذ شارل بلا نشره قريبا ۰ إن هذا المعجم سيكون مفيدا لمن أراد تعريب الآثار الفرنسية الى اللغة العربية ولمن أراد أن يوجد ما بين اللغتين من مفاهيم وما بينهما من محتوى حضارى مشترك ۰

كذلك يحسن بالمسؤولين عن اعداد « المعجم العلمى العام » أن ينظروا فى الدليل اللغوى الذى يتبع بعض مؤلفات المستشرقين مثلا De Goeje عن البلاذرى والطبرى ، عن الجغرافيين القدامى مثلا charles Pellat عن الجاحظ فى كتاب التربيع والتدوير ۰۰ الخ ۰

كذلك يحسن بهم أن يكونوا على علم بكل ما ينشر من معاجم عن المصطلحات العلمية « كمعجم مصطلحات الرياضيات » (1) للدكتور محمد السويسى ۰

إن لم يكن بين ايدينا اليوم معجم تاريخى شامل للغة العربية فهذا المعجم العلمى العام (2) مفيد بشرط :

1) أن يكون محكما فى ترتيب مفرداته ترتيبا الفبائيا بالرجوع الى الحرف اللاتينى ضمن معنى من المعانى ۰

2) أن تكون مفرداته موحدة بين الاقطار العربية مرسومة رسما لا تشابه فيه ولا عجمة بأن تكون المفردات مشكولة ۰

3) أن يكون باحثو هذا المعجم على علم بكل ما يعرب يوميا حتى لا تكون الهوة بين ما فى العالم من معارف وبين ما يقدم غذاء للقارىء العربى ۰

حقا لا تزال الامانة العامة لجامعة الدول العربية (الادارة الثقافية) تتابع موضوع تعريب الكتب العلمية تنفيذا لقرار مجلس الجامعة الصادر فى هذا الشان والذى ينص على ما يلى : « إثراء للمكتبة العربية فى ميدان العلم تعمل الدول العربية على تعريب الكتب العلمية القيمة من اللغات الاجنبية الحية على أن تقوم الادارة الثقافية فى جامعة الدول العربية بتنسيق جهود الدول

---

(1) انظر : Mohamed Souissi : La langue des mathématiques arabes : Tunis 1968 p. 639 - 466

(2) انظر ما نشر منه فى مجلة اللسان العربى عدد 6 ص 325 — 484 : جانفى 1969 — الرباط ۰

العربية فى هذا المجال » (1) كذلك إن الادارة الثقافية ستساعد على اصدار « المعجم العلمى العربى الموحد » الذى باشرت العمل فيه وزارة البحث العلمى فى الجمهورية العربية المتحدة ·

اذن فى الأقطار العربية حركات تعريب للمصطلحات العلمية والتقنية وسعى الى تنسيقها وتوحيدها حتى تنهض العربية وتلتحق بالعالم المتقدم فما حظ تونس من هذه النهضة وما نصيبها من البحث فى مشاكل اللغة العربية ؟

ان المجتمع اليوم يحدد الانسان بـ « الذى يسعى دائما أن يتجاوز ما كان عليه » ويعرفه حسب انتاجيته والانتاجية اصطدام مع الآخر ضرورة فهكذا نجد الشبان فى العالم يعلنون ثورتهم وشغلهم الشاغل تحقيق الشخصية وكسب الحياة فى شتى المظاهر كسبا يفسد أحيانا بالوحدة اللغوية وبالرباط المقدس فهل نفخت اليوم فى شبابنا التونسيين النقمة على المجموعة لسبب اللغة ؟ فلنستمع الى بعضهم يتساءلون :

ما موقف مجتمعنا من العرب ولغتنا هى العربية ؟

ما موقفنا من الفرانكفونية ولغة العمل عندنا هى الفرنسية ؟

ما حظنا من كسب العالم واللغة العربية دون اللغات الغربية استعمالا رغم غناها المخيف 94.000 مادة (2) فى لسان العرب لابن منظور و 45.000 فى معجم هانس فيهر ؟

ألا يحسن أن ننظر فيها نظرة علمية شاملة فتوحد ألفاظها وتيسر قواعدها فتستعمل فى جميع الميادين لا فى الشعر والسياسة والأدب خاصة ؟ ألا يحسن أن نتأمل قول العالم اللسانى فندريس Vendryes : « ·· فان اللغة اذا كانت مرنة خفيفة مقتصرة على الحد الادنى من القواعد النحوية سمحت للفكرة بالظهور فى وضوح تام وأتاحت لها حرية الحركة وعلى العكس من ذلك تختنق

---

(1) انظر : المؤتمر السابع للجان الوطنية العربية لليونسكو (الخرطوم 7 — 11 مارس 1970) وثيقة عدد 42 عن « تعريب الكتب والمصطلحات العلمية » ·

(2) تبعا لما قاله الاستاذ G. J. HAGGAR فى المؤتمر الدولى الحادى والعشرين للمستشرقين (باريس 1948) ·

الفكرة من التضييق الذى يصيبها من لغة جامدة ثقيلة ولكن عقلية المتكلمين تتصرف لتعتاد أى شكل من أشكال اللغة ؟ » (1) .

هل حقا لغتى « متخلفة » أم هى قادرة عندما تساعدها الظروف على التكيف السريع والتعبير عن حاجات المدنية الحديثة ؟

هل حكم على ألا أكسب كل الكسب لا العربية ولا الفرنسية فأتحدث الى رفقائى ومن فى مجتمعى بالعامية ان كان الموضوع عاديا بسيطا يوميا وبالفرنسية اذا شئت أن أعبر عن شعور ما أو رأى ما وبعامية تتخللها فى أغلب الأحايين من جهة ألفاظ بذيئة وشتم للجلالة والدين ومن جهة أخرى ألفاظ فرنسية عديدة ؟

هل أومن بأن العربية مقصرة وأن ثقافتها دون الثقافة الفرنسية فأتنكر لها ؟

هل أشعر وأنا فى بلادى بأنى غريب لأنى عربى التكوين لا أتكلم إلا بالعربية (العامية او الفصحى) ؟

هل سأضطر الى هجرة لا عودة بعدها لأنى فرنسى التكوين لأن أبوى شاءا أن يدرسانى الفرنسية فقط ؟ (2)

هل أعتقد أن لى رسالة الخلق الثقافى ككل انسان فى مجتمع متجدد ؟

هل أعتقد أن لغتى وسيلة طيعة للتعبير عما فى النفس أم هى عاجزة فأرغب عنها لغيرها أو أرغب فيها إن كان حبى لها قويا فأتمتم فأتعثر فأسكت فلا أبلغ ما أريد فأجمد جمود الغير والنفس قصير ؟

ما موقفى من هذا الصراع اللغوى واللغة ظاهرة اجتماعية تتمثل فيها قومية الأمة ومميزاتها الوجدانية والفكرية ، واللغة تثبت ثم تنتشر إن بلغت أفكارا جديدة واتجاهات اجتماعية واقتصادية نافذة ، واللغة أداة الحضارة ووسيلة الاشعاع ؟

ما موقفى من الفصحى ومشكلة التبليغ هى مشكلة الساعة ؟ هل أرى رأى أنيس فريحة : « ان الفصحى ليست لغة الكلام فلا يرجى منها أن تعبر عن الحياة

---

(1) انظر : J. VENDRYES. Le langage Introduction linguistique à l'histoire.
اللغة : تعريب عبد الحميد الدواخلى ومحمد القصاص ـ ص : 302 .
(2) انظر الدكتور أنيس فريحة : نحو عربية ميسرة ـ بيروت 1955 .

بحلاوتها ومرارتها وقسوتها ولينها كما تستطيعه العامية والدليل ظاهر فانك لا تستطيع أن تقول بالفصحى ما تقوله فى العامية واذا نقلته الى الفصحى أتى جافا قاسيا خلوا من العنصر الانسانى اللصيق باللغة » (1) ؟ نعم ان الفصحى كلام محفوظ ، كليشيهات فى أغلبها ، مفرداتها متشابهة غير مضبوطة ، نعم ان الفصحى بترتيب مفرداتها وبفرض حركات اعرابية على أواخرها قد تجعل المتحدث يفكر فى الحركة وينسى محتوى ما يقول او يتعثر فيتلعثم فيتمتم أو يقول عكس ما أراد ٠

ان كانت اللغة وسيلة اقتصادية فهلا ينبغى أن تلقن تلقينا عصريا سريعا : ما قل ودل ، لا إفراط ولا تفريط سواء اكان ذلك فى مستوى المفردة ام فى مستوى التركيب النحوى ؟

ان كانت اللغة وسيلة اقتصادية فلنتساءل ما الفائدة من الازدواجية (الفصحى ـ الفرنسية) ونحن نعلم أن نسبة هائلة من التلاميذ من ذوى الارياف والقرى خاصة سوف لا يجتازون عقبة التعليم الابتدائى ؟ ما الفائدة من تلميذ لقن لغتين نخشى أنه اذا لفظته المدرسة لاسباب السن او المستوى أن ينحدر فى أمية جهلاء ؟ أفلا يحسن لو لقن واحدة هى الى لغته العامية أقرب والى قلبه أميل والى استعمالاته أولى ؟ أفلا يحسن لو لقن واحدة حتى يسلم من تمزق الشخصية او من التنكر للاصالة القومية ؟ أفلا يحسن أن يدرس الفرنسية لغة اجنبية لا لغة اساسية خطرها على اللسان العربى أن يمحوه أو أن يجعله هزيلا متعثرا تعثر المريض المتخلف ؟

لقد صارعت اللغة القرشية بفضل القرآن الكريم لهجات عديدة وانتصرت عليها وصارعت اللغة العربية لغات عديدة فانتصرت عليها نذكر منها خاصة لغات المستعمرين من بريطانيين الى فرنسيين الى ايطاليين ، إن سر بقائها فى أنها لغة القرآن ، مقدسة ، إنها ثبتت على مر الدهور بفضل خاصة حرزتها فى الدفاتر وضيقت عليها بالقواعد وجعلتها موضوع تقديس ومهابة ، هذه الخاصة هى جماعة المتعلمين ٠ لكن لغتى تعيش صراعا آخر اليوم صراعا من الداخل لا من الخارج من المستهلك الذى يستعمل الثنائية او الازدواجية ، الذى يريد أداة طيعة بها أخذ وعطاء بها يفهم ويفهم يتعامل بها دون تأفف وضيق نفس ، يريد ما يسمعه مفهوما ، يريد ما يقرؤه مفهوما قريبا الى ذهنه ، مغذيا لعواطفه ٠ ما هى هذه الأداة ؟ هل هى العامية أم الوسطى أم الفصحى أم الفرنسية ؟

---

(1) انظر الدكتور أنيس فريحة : نحو عربية ميسرة (بيروت 1955) ٠

كما نرى إن مشاغل هؤلاء الشبان هي مشاغل الجد والقلق الوجودى : هل ستحل الفصحى الفرنسية ام العكس ؟ هل ستحل الفصحى العامية ام العكس ؟ المستقبل أخيرا لأى لسان ؟

هل ستحل الفصحى الفرنسية ؟ يمكن ذلك لان العربية من مقومات الشخصية التونسية ومن أركان الوحدة القومية وهى لغة دين هذا القطر فلا نرى غريبا ان تحل العربية محل الفرنسية فى أغلب الفنون والعلوم وأن يعرب التعليم فى الابتدائى والثانوى وحتى العالى وأن تستعمل الفرنسية استعمال لغة أولى اجنبية فى بعض العلوم الصحيحة وعند التعامل الخارجى ٠

هل ستحل الفصحى العامية ؟ إن الفصحى لغة تأليفية إعرابية فالاعراب فى الفهم والافهام صعب واللسان الى السهولة أميل والى عدم الجهد أحن ٠

إن الفصحى المعربة لم تكن لغة التخاطب إلا فى زمان قصير قبل ظهور الاسلام وبعده بقليل إذ كان اللحن موجودا عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعهد الخلفاء الراشدين والامويين ألم يرو عن عبد الملك بن مروان الذى تولى الخلافة سنة 65 هـ (684) أنه قال : « شيبنى ارتقاء المنابر وتوقع اللحن » ؟ ألم يكن الحجاج على فصاحته يخشى اللحن ؟

إن الفصحى لغة الخاصة ، لغة الشعر والخطابة والقرآن الكريم ثم لغة الأدب بمفهومه العام الشامل ، إنها لغة أقلية لا لغة الجماهير لا لغة الناس اليومية — إذن حتى ولو شمل التعليم جميع طبقات الناس فاللغة العامية التى ستثريها الفصحى بمفاهيمها وبمفرداتها وببعض تراكيبها ستصبح هذه « اللغة الوسطى » (1) لكنها تبقى غير معربة « تحليلية » لسبب « قاعدة الاقتصاد » فى علم اللغة او اللسانيات : « اللسان يسعى الى الأسهل المؤدى بكل الاغراض » — إذن إن محاولة بعضهم لجعل الفصحى لغة التخاطب محاولة حميدة (2) بتلقين صبيانهم منذ الرضاعة العربية الفصحى وتبليغها اياهم ملكة دون غوص فى كتب الصرف والنحو والبيان وعلم المعانى لكن هذه المحاولة آلت الى الفشل لأن الصبى عند احتكاكه بغيره فى البيئتين الأخريين يشعر بأن

(1) حسب اصطلاح الشاعر العراقى معروف الرصافى والمستشرق الفرنسى جاك بارك J. Berque ٠

(2) نذكر من هؤلاء الاستاذ انطوان سعادة مؤسس الحزب القومى السورى وزميلا تونسيا أستاذا فى أحد المعاهد الثانوية ٠

لسانه بعيد عن ألسنتهم لا يؤدى بجميع حاجاته اليومية ، لا يعبر عن حياته فى بيئاته الثلاث بالمنزل بالمدرسة وبسواهما ـ إذن إن كانت الحياة صفة للغة فالعامية حية باقية ، ان كان « التبليغ » أساس الخطاب فالعامية ثابتة الوجود متطورة فالحرص كل الحرص أن تلقح من الفصحى وان تلقح الفصحى وأن تصارعا معا الأجنبية الفرنسية على الأقل فى بعض الميادين ٠

والآن المستقبل لأى لسان فى مستوى الجمهورية التونسية وفى مستوى الأقطار العربية جميعها ؟

هل هو حل لهجة عامية محل العربية الفصحى ثم نشر لهجة عامية على جميع البلدان العربية ؟

هل هو حل اللغة الوسطى محل العربية الفصحى ثم نشر هذه اللغة الوسطى وهى حصيلة لغات دارجة لقحتها اللغة الفصحى ؟

هل السعى وراء نشر اللغة الفصحى بين جميع طبقات الشعوب فى تونس وفى كل الاقطار العربية وحمل جميع الناس على التعامل بها ؟

الجواب عن السؤال الاول هو اذا ما اخترنا الاقليمية والتونسة التامة وأردنا أن نتخلص من الفصحى الاعرابية فمن الثنائية Diglossie (الفصحى ـ العامية) فمن الازدواجية Bilinguisme (الفصحى ـ الفرنسية) طوعنا اللسان التونسى وجعلناه أداة تعبير فى مستوى المكتوب والمقول فى جميع الميادين بشتى الملفات العاطفية والذهنية ـ ان هذه الدعوة غير عملية مآلها الفشل والخذلان ٠

الجواب عن السؤال الثانى هو ان هذه اللغة الوسطى صارت لغة قائمة الذات أو تكاد إذ هى لغة الساسة الى جماهيرهم ، هى لغة العرب المثقفين عند التلاقى والخطاب ، إذن هى لغة المستقبل فى مستوى المقول سواء أكان ذلك فى الحدود التونسية أم خارجها ٠ ولعلها أيضا ستصبح يوما ما لغة المستقبل فى مستوى المكتوب ٠ من يدرى ؟

أما الجواب عن السؤال الثالث فواضح جلى : إن العربية الفصحى ستبقى فى مستوى المكتوب بشرط أن نتخذ على أنفسنا اختيارا جوهريا : التعليم الشامل للجماهير لا للخاصة وان ننظر فى هذه الفصحى نظرة الحائر القلق قلق الطبيب على مريض يستغيث ، يحتضر ، بشرط ان ننظر فى هذه اللغة وأن ندرسها من زوايا عديدة متوازية : فى مستوى المفردات تحت ضوء علم

الأصوات وعلم وظائف الاصوات والصرف والنحو والمعجم والرسم والا نخشى عليها من اللقاح ؛ فى مستوى الجملة تحت ضوء القوالب والتمارين التركيبية وألا نخشى عليها من التطعيم ·

بقيت الآن مشاكل أخرى تتعايش وهذا الصراع اللغوى نذكر منها حالة الخط العربى وأمر تاليف الكتب وتدريسها ·

مائة مليون عربى تقريبا يكتبون العربية بالخط العربى ـ هذا لا يعنى أنهم جميعا مثقفون ـ أقطار إسلامية عديدة استعملت الحروف العربية وكتبت بها لغاتها نذكر منها التركية والفارسية والاوردية والأفغانية والمغولية والكردية والبربرية والسودانية والساحلية ولغة الملايو ·

لكن نلاحظ اليوم أن قراءة الحرف العربى وهو معجم بدون حركات أمر صعب ينفر الناشئة والكهول وقد شعر المعاصرون بهذا الخطر منذ 1943 وكانت مشاريع عديدة لتيسير الخط العربى وجعله يساير سرعة الزمان : « نقرأ لنفهم لا نفهم لنقرأ » نذكر الاخيرة منها : مشروع الاستاذ أحمد الاخضر بالمغرب ومشروع مروة بلبنان ومشروع الاستاذ البشير بن سلامة بتونس · إن هذه المشاريع تجابه صعوبات جمة من الكاتب أولا (عليه ان يحسن اللغة العربية حتى لا يخطىء لا فى الصرف ولا فى النحو) من الطابع ثانيا (عليه أن يقتنى آلات أخرى وأن يكسر ما عنده ، عليه أن يجد مصححين أكفاء يكسبون العربية كسبا لا تشابه فيه) · على كل إن المسؤولين المغاربة عن التربية والتعليم قد اهتموا بهذا الموضوع الحيوى وأدرجوا فى اجتماع الهيئة الاستشارية المغربية للتربية والتعليم (الجزائر 13 ـ 18 جانفى 1969) ضمن توصيات لجنة الرصيد اللغوى التوصية التالية : « نظرا لضرورة شكل النصوص فى المرحلة الابتدائية فان لجنة الرصيد توصى بتاليف لجنة خاصة لدراسة مشاكل طباعة الخط العربى » ·

ان هذه اللجنة لم تتكون بعد لكننا نرجو من مسؤولينا عن التربية والتعليم بالمغرب أن يسرعوا بانشائها لأن فى حل مشكلة الخط العربى حدا من الأخطاء الشائعة على أفهام تلامذتنا فى جميع المستويات وعلى أقلامهم (1) ·

مشكلة أخرى تجعل المربى فى حيرة : هى مشكلة تاليف الكتب باللغة العربية : نلاحظ فى تونس أننا سعينا سعيا حميدا فى المستوى الابتدائى

(1) انظر : ELAYED Ahmed : contribution à l'étude des fautes d'arabe chez les élèves du Secondaire en Tunisie (Revue du C. E. R. E. S. n°3 mars 1968

والثانوى سواء أكان ذلك فيما ألف فى الصرف والنحو وعلم المعانى أم فيما انتقى من نصوص أم فيما كان من اختيارات تربوية لغـوية ، لكن يحسن أن نزيد خطوة أخرى على تلك المحاولات الجـريئة وأن نتخـذ اختيـارات أخـرى أساسية حتى يبنى البناء التعليمى التونسى بمستوياته الثلاثة ـ الابتـدائى والثانوى والعالى ـ بناء متسلسلا منسجما دون تعثر وإذ لا ننسى هنا مجهودات السادة المتفقدين والمعلمين فى الابتدائى ومجهودات السادة الزملاء فى الثانوى، وبحوث معهد علوم التربية (نهج فينيلون فيما يخص تدريس العربية بالطريقة الحوارية ، وبحوث معهد بورقيبة للغات الحية اذ أبى الا أن يـدرس العـربية للكهول الاجانب حسب تجارب تربوية حديثة، نقف عند نشاط قسم اللسانيات بمركز الابحاث والدراسات الاقتصادية والاجتماعية التابع للجامعة التونسية.

إن هذا القسم الذى أنشىء سنة 1964 قد أصدر بحوثا لغوية هامة نستطيع أن نقسمها الى أربعة أقسام (1) :

أ) **دراسات عامة** : نذكر منها مثلا : المستويات المختلفة لاستعمال العربية بتونس : **عبد المجيد عطية** ؛ **الحالة اللسانية بتونس** : **صالح القرمادى** ؛ **استعمال العربية والفرنسية** ببعض الادارات التونسية : **سعيد بلطيفة** الخ .

ب) **دراسات خاصة** : 1) على ضوء اتصال الالسن نذكر منها : **لغة اللافتات فى بعض شوارع هامة** بتونس العاصمة : صالح القرمادى ؛ **لغة بعض عملة لطة ممن يشتغلون** بفرنسا : أحمد العايد .

2) على ضوء دراسة الأخطاء : مشاركة فى دراسة أخطاء العربية عند تلامذة المعاهد الثانوية بتونس : أحمد العايد ؛ فرنسية الاطارات التونسية : الآنسة زهرة الرياحى .

3) على ضوء علم وظائف الأصوات : وصف لألسنة المهدية وجمال وقابس : لعبد المجيد عطية والطيب البكوش وهشام سكيك .

4) على ضوء دراسة الكتب : دراسة معجمية صرفية نحـوية لكتب القـراءة بالسنتين الاوليين من التعليم الابتدائى : لعبد المجيد عطية وأحمـد العـايد وصالح القرمادى وعبد القادر المهيرى .

---

(1) انظر : Taieb Baccouche : Bibliographie critique des travaux de la Section de linguistique 1964 - 1968 (C. E. R. E. S.) Mars 1969

وانظر : Centre d'Etudes et de recherche Economiques et Sociales : Index bibliographique 1964 - 69 .

ج) تنبيهات ووثائق ٠

د) تعريب كتاب cantineau : القرمـادي : دروس في علم أصـوات العربية ٠

هـ) مراجع عما ألف من دراسات لغوية في تونس : للطيب البكوش ٠

كذلك إن القسم بصدد طبع كراسة خاصة بمشاكل الازدواجية سنقرأ فيها دراسات عن : « تعريب الحرس الوطني بتونس » : رشاد الحمزاوي ؛ « استعمال العربية والفرنسية بالمعاهد الثانوية » : زهرة الرياحي ؛ « لغـة الطلبـة » : الحبيب العنلي ٠

كذلك إن القسم بصدد انجاز أعمال أخرى :

لوزارة البريد سيشارك في اعداد « دليل الهاتف » بالعربية تحت اشراف عبد المجيد عطية ٠

لوزارة الاشغال العمومية سيعد رموزا بالحرف اللاتيني لطبـع الخـرائط التونسية ٠

لوزارة التربية القومية إنه يعمل على ضبط رصيد لغوي مغربي أساسي ٠ في مستوى الابتدائية : لقد أنجز جزء من هذا العمـل بمعيـة باحثي معهـد علوم التربية وسينجز القسم الثاني في قسم اللسانيات باتصال مع معهـد العلوم اللسانية والصوتية بالجزائر ومصالح التعريب بالمغرب وستقدم اللجان القومية للرصيد اللغوي قريبا الى وزراء التربية والتعليم بالاقطار المغربية قائمة مشتركة أولى لمفردات ضبط تواترها ضبطا علميا بفضل الآلة الحاسبة بالجزائر ORDINATEUR واختيرت اختيارا غايته التعصير والتوحيد ولنتأمل معا نتيجة هذا البحث الشاق الجليل ، صبيان مغاربة ينشؤون على نفس النشأة بنفس اللغة مبنى ومعنى ، هذا هو التوحيد من أساسه ٠

لكن عملنا هذا لا يتقيد بالمغرب دون سواه اذ سنتصل ببيروت حيث يعمل باحثون هناك عملا قريبا مما نريد وهكذا ستتضافر جهود المغاربة والمشارقة لخير عربية أساسية مشتركة ٠

إذن نلاحظ أن قسم اللسانيات بتونس : ١) يهتم قبـل كل شيء بوصف الحالة اللغوية بالجمهورية كدراسة أولى ضرورية للحالة اللغوية في المغرب ثم في العالم العربي جميعه ٠

2) انه يسعى جهده أن يجعل العربية لغة « عملية وظائفية » لضبطه للغة الاساسية ، تعريب دليل الهاتف ، مساعدة باحثين اجتماعيين ـ من جامعة نيس يعملان تحت إشراف اليونسكو ـ فى دراستهما للامية بالحنقة (ڤرنبالية) .

3) أنه سيعرب أو سيشرف على تعريب ما ينتجه مركز الابحاث الاقتصادية والاجتماعية من بحوث علمية ضمن أقسامه الخمسة الاخرى (علم الاجتماع ، علم السكان ، علم الجغرافيا ، علم الاقتصاد ، علم القانون) .

إذن فان قسم اللسانيات يدرس اللغة وهى وظيفة اجتماعية وأداة اقتصادية دراسة أساسية تطبيقية لخير وطننا وخير قوميتنا تحت ضوء الصراع اللغوى من الثنائية (الفصحى ـ العامية) الى الازدواجية (الفصحى ـ الفرنسية) الى الثلاثية (الفصحى ـ البربرية ـ الفرنسية) الى الرباعية (البربرية ـ العامية ـ الفصحى ـ الفرنسية) وغايته تطويرها وتعصيرها مؤمنا بضرورة استغلال وسائل تطوير اللغة من اشتقاق الى نحت الى تضمين الى مجاز الى تعريب وبحينية الحاق الدخيل المستعمل المتواتر ؛ ليس علينا اعتزازا بلغتنا القومية العربية أن نحارب كل دخيل وأن ننبذه كما فعل الالمان أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين فحذفوا من لغتهم الكلمات الفرنسية الدخيلة فحلت مثلا Spielhaus الالمانية محل كلمة Fahrkarte , Théater محل كلمة Billet الخ نحن لا نظن أن العربية اذا استعملت المفردات الحضارية الحية المتداولة المتواترة على الالسن كتلفزة (عوض مرناة) كدوش ادواش (عوض مضخة أو شنشان) أنها ستضمحل لفائدة لغة أخرى . إن سر بقاء اللغة فى أصواتها وفى صيغها الصرفية وفى ترتيب مفرداتها حسب قوالب نحوية معينة وللعربية الفصحى ـ وهى لغة تأليفية ـ نحو فان يسرناه بأن تدرجنا بنماذج التعبير شيئا فشيئا كان النحو الواحد المشترك الموحد والموحد ، لقد حان حقا والزمان يسير بخطى هائلة ومائة مفردة تبتكر كل يوم تقريبا ألا نتقيد بالتعريب دائما وأن نلحق بلغتنا الدخيل المستعمل المشترك بعد ضبطه ضبطا علميا بفضل الآلة الحاسبة ، بفضل الآلات المكنغرافية .

واذا ما كانت هذه الدراسات الاولى اتضحت لنا العقبات وتراءى لنا العلاج :

1) فى مستوى التدريس :

أ) علينا أن نقدم الى التلاميذ مفاهيم أصيلة عصرية مسايرة لركب الحضارة.

ب) ألا نعتبر العربية فى الابتدائى لغة الأم بل هى لغة القسم فلندرسها

تدريسا حديثا يرغب عن القواعد المحفوظة قدر الامكان ويرغب فى تلقين القوالب العربية السليمة على أساس التمارين التركيبية من تعويض الى إبدال الى قلب الى إنشاء ـ وحبذا لو أدخلنا فى تدريسنا الوسائل السمعية البصرية لشوقنا الصبى الى اللغة العربية ولمال اليها ميوله لضرتها اللغة الفرنسية ٠

2) فى مستوى التاليف : الى أن تقدم القائمة الاولى للرصيد اللغوى الى المؤلفين ، الى أن تؤلف نصوص بذلك المشترك اللغوى الادنى فعلى المعلم أن يجتهد بأن يعتبر مراكز اهتمام الصبى فيمكنه من التعبير التلقائى السليم عن وجدانه وعن أفكاره والخوف اليوم أن أفكار صبياننا تنعقد فقرا للمحتوى الملقن وتعقيدا للمفردات المعربة البعيدة عن الصبى وسعيا وراء القوالب النحوية الشاذة (أذكر لكم ما قص صبى فى السنة الاولى لأبيه باكيا : « والله يا بابا أنا نقول بهيم » والمعلم يقول : « حمار » ٠

إذن بفضل مجهودات كل قطر عربى ، بفضل تنسيق الجهود فى مستوى الجامعة العربية (اللجنة الثقافية والمكتب الدائم للتعريب) وبفضل إقحام العربية أبواب المنظمات العالمية فلعل اليوم قريب لنرى المؤلفين العرب ومفكريهم يتبوؤون مقاعد الخلود ويتحصلون على جائزة نوبل ، لنذكر ما قاله الاستاذ شارل بلا Charles Pellat يوم 17 ـ 4 ـ 1970 بالعمل (الملحق الثقافى) : « كنا اقترحنا مرات عديدة طه حسين وتوفيق الحكيم واقترح بعضنا نجيب محفوظ لكن اللجنة لم تمنح أحدهم الجائزة لأنها ترى أن الأدب العربى بعيد جدا عن هذه النهضة التجديدية الطلائعية المتطرفة فى محتوياته وأساليبه ٠٠٠ »

على كل حال دخلت العربية اليونسكو والأمل فيها عريض ولا شك أن إدخالها فى المنظمات الدولية وخاصة منها اليونسكو يجعل منها لغة عالمية دولية ستتقدم تقدما أسرع وستنتشر انتشارا أشمل ولكن قبولها يقتضى منها :

أن تكون مفرداتها واضحة المدلول دقيقة لا تشابه فيها ولا ترادف غامض ، موحدة ، أن تكون صيغها الصرفية وتراكيبها النحوية مضبوطة الاحصاء مضبوطة الترتيب ، أن تقدم لليونسكو فى أقرب وقت ممكن مجموعات من المصطلحات فى شتى ميادين المعرفة ولعل المجامع العلمية او هيئات التعريب فى العالم العربى لا تعمل بالسرعة التى يفترضها العصر فلا بد إذن من مجهودات الأفراد لايجاد المصطلحات التى نفتقر إليها وخاصة المستعملة الآن فى اليونسكو (1) ٠

---

(1) قد صدر بعد دليل للمصطلحات المستعملة فى هذه المنظمة الدولية ٠

على كل حال اذا فرضت العربية نفسها في اليونسكو انتشرت انتشارا سيشمل أولا البلدان الاسلامية غير العربية واللغة العربية هي المرآة التي تنعكس فيها قيم الاسلام ـ إن المسلم يصلي بلغة القرآن ـ لكن اذا آمنا أن صلة الاسلام باللغة العربية أمر لا مراء فيه واذا رأينا ان العربية لا تشمل إلا مائة مليون نسمة وأن الخمسين والمائتي مليون مسلم في البلدان الاخرى بمعزل عن لغة القرآن واذا آمنا أن الشعوب الاسلامية لا يمكن لها أن تتصل بالاسلام الاتصال العميق المنشود إلا إذا ما درست العربية ولا يمكن لها أن تقترب من الدول العربية وتتلاحم معها إلا اذا استعربت ولو بمقدار تراءى لنا وجوب تبسيط اللغة العربية حتى تغزو المسلم بعض الغزو ٠

ثانيا : البلدان الأخرى ألم يدع أخيرا الى ذلك الاستاذ ميشون (جينيف) 1969 : « يجب أن تدرس العربية بحسب الاختيار لغة ثانية سوية مع الألمانية أو الانقليزية » ٠

وفي الحقيقة من نظر اليوم في برامج الدول الغربية أو الشرقية وجد أن للعربية حظا ما كانت عليه منذ عشر سنوات فلننهض اذن لتقديم لغة يسيرة لا عسيرة عملية وظائفية مشكولة مضبوطة المفردات والتراكيب ٠

وبعد استعراض أهم المشاكل وذكر بعض الحلول يحسن أن نعبر الآن عن بعض الرغبات التي نأمل أن تتحقق في تونس وفي المغرب العربي وفي البلاد العربية جميعها :

أ) في تونس نأمل أن يكون ملتقى قريب عن الترجمة والتعريب ، ـ هل التعريب ضروري بتونس وفي أي مستوى ؟ إن رغبنا في التعريب فلماذا لم نعرب إلا باحتشام ؟ ما هي الاسباب المادية والبشرية التي حالت دون ذلك ؟ هل نفكر في مخطط للتعريب وكيف ذلك ؟

نريد في هذا الملتقى دراسات علمية لا عاطفية حماسية :

1) يقوم بها من اهتم بموضوع الازدواجية العربية الفرنسية من بحاثين أو مدرسين تونسيين كانوا أو فرنسيي اللسان ٠

2) ويقوم بها مسؤولون عن التربيه القومية والشباب ومسؤولون عن الثقافة ومسؤولون عن الاقتصاد ٠

كذلك نأمل ان يكون قريبا ملتقى عن تدريس اللغة والصرف والنحو والبلاغة تدريسا يتماشى والعلوم اللسانية ٠

2) فى مستوى المغرب العربى : طلبا لمقترح الدكتور أحمد طالب وزير التربية والتعليم بالجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية بالندوة الثالثة لوزراء التربية والتعليم بالرباط (7 جوان 1969) ينبغى أن نفكر فى ملتقى عن مشاكل التعريب فى الاقطار الاربعة : ليبيا عربت هى الاولى ، والمغرب عربت هى الثانية ، وتونس شرعت فى التعريب فكانت شعبة « أ » التى يبدو أنها ذاهبة الى الزوال ، والجزائر التى قررت التعريب وشرعت فيه رغم المصاعب (1) ٠

كذلك يحسن أن نلتقى قريبا لكى نضبط مشاكل تدريس اللغة وبعض الحلول ٠

3) وأخيرا فى مستوى الأقطار العربية نأمل :

أ) أن تترجم الكتب والمراجع الاساسية الى العربية باعانة الجامعة العربية واليونسكو وأن توزع كل عام على فروع العلوم الاساسية منها والتطبيقية ، هذا يعنى متابعة كل ما ينشر من المجلات والدوريات والكتب والمقالات الصحفية فى اللغات المختلفة من فرنسية وانقليزية وروسية والمانية واختيار ما ترى تعريبه ٠

ب) أن نشرع دون تخاذل فى تدوين « معجم تاريخى » يشمل العربية القديمة والحديثة (2) (إن المعجم العربى الفرنسى الانقليزى لبلاشير ودونيزو وشويمى لبنة أولى لهذا المشروع الضخم) ٠

ج) ان ينجز «معجم موحد باللغة العربية للمصطلحات العلمية والتكنولوجية» حسب ما جاء فى توصية مؤتمر اللجان الوطنية الخامس (فيفرى 1966)

---

(1) لنتذكر ما جاء فى توصيات لجنة توحيد التعليم داخل كل قطر من الاقطار الاربعة (الندوة الثانية لوزراء التربية والتعليم لبلدان المغرب العربى (الرباط جوان 1969) : « ان بلاد المغرب العربى دينها الاسلام ولغتها العربية ونظرا لما تكتسيه اللغة من أهمية فى تكوين شخصية الفرد والامة فان اللجنة توصى بأن يجعل كل قطر من أقطار المغرب العربى استعمال اللغة العربية هدفا من أهدافه فى جميع مراحل التعليم وأن يعمل على تكوين الاطارات الكفءة لتحقيق ذلك فى أقرب وقت » ٠

(2) لا ننسى ما جاء فى مرسوم انشاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ثانيا : « أن يقوم بوضع معجم تاريخى كبير » ٠

بالكويت الموجهة الى الجامعة العربية وقد باشرت بعد فى هذا الانجاز وزارة البحث العلمى بالجمهورية العربية المتحدة •

د) أن يدون « معجم عربى للمعانى » ونرجو أن يأتى المكتب الدائم للتعريب بالرباط على هذا المشروع فى أقرب الآجال •

هـ) أن يفكر المسؤولون فى إعادة تأسيس اتحاد المجامع اللغوية العربية ليصبح مجمعا لغويا مركزيا « وتصبح المجامع الموجودة بدمشق وبالقاهرة وببغداد والتى ستوجد فى عواصم عربية أخرى فروعا لاتحاد المجامع (1) •

و) أن يهيأ ملتقى بين الذين فكروا فى تسهيل طباعة الحرف العربى وبين اللسانيين (اللغويين) وبين نواب عن وزراء التربية والثقافة والاقتصاد •

ز) أن يهيأ ملتقى بين اللسانيين العرب ـ مشارقة ومغاربة ـ حتى يستعرضوا معا ما ستستفيده اللغة من الدراسات اللسانية وما ستستفيده العربية من الآلات المكنغرافية فى مستوى المكتوب وفى مستوى المقول •

بعد الأمل الألم ، بعد الرغبة الرهبة ، بعد ما عبرنا عنه من رغبات نخشى أن نطالب من جديد بتوحيد المصطلحات العلمية فى مستوى كل الاقطار العربية كما كان ذلك فى مؤتمر توحيد المصطلحات العلمية بالجزائر فيفرى 1964 (2) وكما طولب به فى كل ملتقى علمى عربى ـ على كل نرجو أن يضطلع المكتب الدائم للتعريب بهذه المهمة حسب ما جاء فى الوثيقة عدد 42 ص 4 الصادرة عن المؤتمر السابع للجان العربية لليونسكو (7 ـ 11 مارس 1970) •

« وبناء على قرار مجلس جامعة الدول العربية فى دورة مارس 1969 الخاص باحالة مهمة توحيد المصطلحات العلمية حتى مرحلة الدراسة الثانوية الى

---

(1) نذكر أن أول مؤتمر لهذا الغرض كان بالاسكندرية سنة 1953 والثانى بجدة (جانفى 1955) وأن المشروع قد نوقش ثالثة بمؤتمر المجامع (29 سبتمبر ـ 4 أكتوبر 1956) •

(2) انظر : ELAYED Ahmed : qu'advient-il des recommandations du congrès d'Alger sur l'unification des termes scientifiques arabes (I.B.L.A. n° 122,1968/2)

ولقد جاء فى التوصية الاولى لهذا المؤتمر ما يلى :

« يؤكد المؤتمر ضرورة توحيد المصطلحات العلمية فى اللغة العربية على جميع المستويات التعليمية وأن تتخذ جامعة الدول العربية جميع الوسائل الكفيلة بتحقيق هذا التوحيد » •

المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربى بالرباط على أن يبقى للادارة الثقافية الاشراف على سير العمل فيه والمشاركة بجهودها حتى تتم عملية توحيد المصطلحات العلمية فى جميع المدارس العربية الثانوية أرسلت الادارة الثقافية الى مكتب التعريب فى الرباط المواد الآتية » :

نخشى أن نطالب من جديد باستعمال الارقام العربية والرموز اللاتينية فى التفاعلات الكيمياوية .

نخشى أن نطالب بتوحيد أسماء الشهور بين سائر البلاد العربية وكتابتها من اليمين الى الشمال كما ذكر بذلك الاستاذ محمد بن البشير عضو اللجنة المغربية لليونسكو فى المؤتمر السابع للجان القومية العربية لليونسكو الذى انعقد بالخرطوم من 7 الى 11 مارس 1970 .

نخشى أن نبقى نترجم فقط دون أن نفكر فى تكوين أدمغة مختصة فى جميع الفنون والعلوم تكتب بالعربية مباشرة أو على الاقل تترجم عن معرفة الترجمة السليمة وتعرب عن علم التعريب المرضى .

نخشى أن نقرر قرارات سريعة تبقى حبرا على ورق كما جاء فى توصيات المؤتمر الثقافى العربى الثامن « اعداد المعلمين فى الوطن العربى » (القاهرة 20 – 30 ديسمبر 1969) ص 2 : إن المؤتمر يوصى بما يلى :

« المبادرة الى استعمال اللغة العربية لغة للتدريس والبحث العلمى فى جميع مراحل الدراسة بالكليات والمعاهد العامة والتقنية فى البلاد العربية ، على أن يصدر فى كل بلد عربى تشريع ملزم بذلك ، وأن يكون البدء بتنفيذه فى السنة الاولى (الصف الاول) بتلك الكليات والمعاهد فى بداية العام الدراسى التالى مباشرة لصدور التشريع ، وأن ينص على أن يكون التنفيذ فى السنوات (الصفوف) التالية متتابعا عاما بعد آخر دون فواصل زمنية » .

نخشى أن نسمع اللغة العربية تصيح : « النجدة النجدة ، نهضتى بدأت فى أوائل القرن التاسع عشر ولما تثمر ، أبنائى ما زالوا فى تخلفهم الذهنى راضين عن صورتى ولهين بها عاشقين لها غير شاعرين بأن اللغات الاخرى تتقدم مع أصحابها بخطا هائلة لا سبيل الى الالتحاق بها » .

نخشى إذن ان نبقى مستهلكين وألا نسعى فى أن نصبح قريبا من المصدرين .

فى خاتمة هذا البحث يحسن أن نقول أن لا نهضة صحيحة للغة العربية إلا :

1) بتحليلها التحليل اللغوى الدقيق وابراز معطيات الصراع الذى تعانيه من الثنائية (الفصحى لغة تأليفية ، العامية لغة تحليلية) والذى تعانيه من الازدواجية (الفصحى ولغة أخرى أجنبية ، كالفرنسية بتونس) ٠

2) بتلقيحها بما هو مستعمل متواتر مضبوط ضبطا علميا ميكانوغرافيا زيادة على الاشتقاق والنحت والتضمين والمجاز والتعريب والترجمة ٠

3) بطبع حروفها طبعا مشكولا كامل الشكل حتى نقرأ لنفهم ٠

4) بتدريس العربية تدريسا يعتمد الجملة فى كل ميدان : الالحاح على القوالب والتمارين التركيبية ، تدريس الصرف تدريسا واضحا بالالحاح على القياس وإهمال الشاذ حتى العالى ، تدريس النحو بالانطلاق دائما من الجملة وصفا لا تقعيدا ، تدريس البلاغة بالحاح على علم المعانى ٠

العمل شاق عسير يفرض أن تجتمع المجهودات لغاية واحدة ، أن يعمل اللسانى والمربى والطابع تحت رعاية الحكومة٠ ولا شك أن هذا العمل الجبار يتجاوز قسم اللسانيات ومعهد علوم التربية ومعهد بورقيبة للغات الحية ومجهودات الزملاء فى الابتدائى والثانوى واقتراحات الاستاذ البشير بن سلامة ـ إنه عمل حكومى اذا ما شئنا أن تصبح العربية لغة وظائفية عملية ، لغة الجماهير لا لغة الخاصة ، لغة الكتابة والتعامل عند الشباب والكهول ، هذا فى مستوى قطرنا ، أما فى مستوى الاقطار المغربية فالامر يتجاوز الآلة الحاسبة بمعهد العلوم اللسانية والصوتية بالجزائر ومجهودات اللجان القومية للرصيد اللغوى ومجهودات المعربين عامة ، اما فى مستوى الاقطار العربية فالأمر فوق امكانيات المكتب الدائم للتعريب ولا اللجنة الثقافية للجامعة العربية ولا المجامع الثلاثة ، الأمر فى أيدى وزراء التربية والتعليم وزملائهم وزراء الثقافة ووزراء الاقتصاد ٠

أ٠ ع٠

من اخبار الاحلام

قصة ، بقلم : رشيد الغالي

إلى لطف في سمكتك : ابعث سندبادى (I)

كان السندباد الى اليم ، الى اللجج ، حميما فى تعلقه وصبوة حنينه حتى بلغ التسعين من عمره ، بلغ هذه السن وتوقه الى البحر ، الى النوى ، الى الماء ، ما زال شابا ، عنيفا ، دفاقا ...، ولكنه لماذا وقف فى هذا الخضم المتعالى ، واوقفَ مركبه الى هذه الصخرة السمراء الناتئة كرأس حية تتربص . انظر . ان الماء يحتضنها وهى ، فى حطها ، كالجثة المنتفخة المفرية تتسع دوائرها فى نزولها الى القاع .. قال والماء والسماء يتباعدان امام امتداد نظره :

« مائة سنة الا عشرا مرت على ميلادى . لم لا تكون المائة كاملة ككمال هذا الخلق ، هذا البحر » وغرز نظره فى الماء الذى كان يصطخب ، يرغو ، يصطرع بدون هوادة ولا وقوف حركة : « ألم تكفك تسعون عاما دلها وولها وعشقا . لو كنت إمرأة وعشت لها عمرا حانيا ، حدبا ، متعبدا ، ثم انقضضت عليهـا لأمزق حجبها وافتح مكنوناتها لجثت امامى تبتهل الى الرب أن يرفع عنها لبسها وشيخوختها لتمنحنى ليلة ، ليلتى .. » ليلتى الراحلة فى اعماق عمقك .

نعم ، لقد كانت لى ، فيما مضى ، امرأة . اختطفتها من احدى جزرك النائية . كان ذلك ذات صيف . نزلت لأحمل زادى من الثمار المجففة ، فرأيتهـا الى الشمس على رمال الساحل فى تبرح الانثى الزاهية فهبطت عليها ، فكانت الى فى صمت فحملتها الى المركب ...، وانقضى علينا عام ونحن عليك وأنت إلينا أنيسا ... وكان اليوم الاول من العام الجديد ، فقالت لى :

« انى مللت الماء . اريد اليبس ها هو ، صديقى ، الصيف قد عاد ، فعاودنى حنينى الى الرمال والشمس ... »

ورأيت عليها من الصمت والتقطيب والاكتئاب مـا دفعنى الى الاستجـابة لرغبتها . وفيما كنت أنزلها الى جزيرتها قالت لى :

— انى لا أستطيع العيش بدون لحم ، فالثمار المجففة لا تكفى ليقوم أودى . فقلت لها وهى على صدرى فى تأس وثغرها على رقبتى مرتعش :

(I) سمكة : ذاك عنوان قصة لصديقى سمير العيادى .

ـ ولكن اللحم لا يصبر على الايام فيفسد علينا هواءنا بتقرحه ونتونته ٠ فقالت :

ـ عد إلى بعد حين حتى أجرب ٠

وها أنا أدرك اليوم ، اليوم فحسب ، أني وقفت العمر عليك ، ولم أتخط بعد خط التجربة ٠ وها أنت لا تزال تمتد أمامي عظيمـا ، عملاقـا ، بلا حـد أو نهاية أمل ٠

وعدت اليها ، ذات صيف ، بعد عشرين عاما ، فلم أجدها الى الرمال أو الى الشمس وانما كانت الى الظل ، الى هدوئها هادئة ٠ قالت :

« ها قد جف لحمى ، حبيبى ، فعفت اللحم ٠ فهل لا نترافق ؟ » ٠

٠٠٠ وعدت إليك وحدى ولم أحملها معى لانى خشيت من أن لا تتحمـل معاناة الصراع الطويل ، أو أن يكون جفافها سطحيا على الجلد سرعان ما يذهب به ماؤك فيهيج فى القرم ويغرينى عنك اللحم فتدركنى المائة قبل ان أدركك٠٠٠ غير انى كنت إليها ، قبل أن أودعها ، فى ليلة ضبابية لا عين لها ولا أمر ٠

ولم انسها سريعا٠فكانت تاخذنى حالات أكون فيها الى هزات رعناء فأنتفض وتزور فى انطلاقتى ويلهبنى تأججى ، واذا هى ، المرأة ، تقوم فى شـديدة ، كافرة ، كاللعنة ، كالحتم ، كالقضاء ، فانفجر لهبا مستعرا وتذوب من حولى الأشياء فلا أرى الا رقصها الحموم يصخب فى كيانى ، فتصطك فى أحاسيسى فأكون لها ، فى تمزق وتحرق ، ثم انظر فاذا بى فحم احترق وانطفأ بدون ان يترك تسعره رمادا ٠٠٠ ، فحم مجفف فى مهب ريح عتية لشرر غزير عنيـد ، المسامير تبدأ وطؤها عليه نقرا ثم تنغرز فلا أرى غير مائك شفاء فأخلص له بعد جهد ، فيأتينى سيالا ٠

* * *

٠٠٠ رفع السندباد بصره فاذا البحر كالأبد تتلاحق أمواجه ويتواصل دفقه نحو الأفق ، نحو السماء لا تهدأ له حركة ولا يخرس له صوت ولا يذهب بـه رحيل ٠٠٠ ، وشعر كالعظمة ، اذا كان عليها الانسان بعد جهد ومعاناة ، شعر كالانشراح او السلام فخفت فيه الاشياء ، أشياؤه ، وكأن أحقابا من عمره قد انزاح عند وطئها وتزايل ثقلها ، فعـاوته نخـوة الشبـاب ، وأراد جـزيرة صاحبته ، فلوى نحوها رأسه بعض وقت ثم جذب الحبل الذى كان قد شده الى الصخرة ، صخرة اللعنة ، فلم ينجذب ، فعالجه فلم ينقد وقام فى وجهه عودا صلبا لا يلين فصاح : « أوقف البحر أم قد مـات فى الفعـل » ٠ وانهـد على المركب ٠٠٠ ، ثم نظر الى عضلات يديه فاذا هى جافة ، ملتصقة بالعظام هزيلة ، قاحلة ٠٠٠ ، ثم حول عينيه الى مركبه فتألم للونه الذى قد نصل وللألواح التى قد تفزرت وتهرأت ٠٠٠

كان الماء يحتضن المركب فيراقصه ويداعب جوانبه بلطف ٠٠، فرمقه هنيهة ثم قال : « صارعتك شديدا فلم أصرعك ، وقاومتني طويلا فلم ترد في إلا اندفاع اللحم ٠٠٠ »

« ٠٠٠ لقد حدثتني جدتي عن أمي قالت : لم يخلف أبي من ذريته غيري كما كان هو وحيد أبيه الذي كان أوحد جده ٠٠٠ أما أنا فلم أنجب غير أمك ، الأمر الذي أنبت فينا حبا جنونيا للولادة والخلق ٠٠٠

تزوجت أمك ستا ٠ كان أول بعل لها وهي في الخامسة عشرة من عمرها ٠٠٠، وكان آخر قران لها وهي في الثلاثين ٠٠٠

لم تحمل أمك من الخمس الأولى رغم أنها منحت لكل منهم ثلاثة أعوام تعيشها واياه حالمة أو هي بين الحلم والموت حتى تكون ليلة الذكرى الثالثة ، فأراها تخرج مع صاحبها الى القفر ، نحو البحر ، فتخلع ثيابها وتدخل الماء وتبقى فيه الى الفجر تنظر الى السماء تمتد امامها قوراء مثقوبة ، خلاء خلاء ٠٠٠

ثم يكون لها من الغد زوج آخر ٠٠٠ قالت لي لما سألتها عن سر ذلك ، إنها تطهر رحمها عله ينبت فيكون لها خلق ٠٠٠

٠٠٠ وكان لها أبوك الذي قضى قبل ان تكون ٠٠ كان طبيبا ماهرا اشتهر بعلاج النساء ممن اصبن في أرحامهن ، فكانت تأتيه المريضة شاحبة ، مشهها الداء الى الانحناء ، ورض حجرها فنتن وداد ، وتقوح عن قيح لزج ، كريه ٠٠٠، تتعرى له فيفحصها ثم يشرع في علاجها رأفة وتعمق كشف ٠ حتى اذا أصاب العقار الداء وشفيت مريضته يطلبها لفحص تكميلي فتأتيه وفي تثنيها دل ، وفي عينيها إغراء ، وعلى صدرها نداء ، فيعرض عنها ويتابع عمله مع إمرأة اخرى عليلة ٠ فكشف له ذلك عمق قبح المرأة وغرز فيه برودة أزهدته في الزواج حتى بلغ الخمسين من عمره ٠٠٠

٠٠٠ جاءته أمك أصيل يوم إثر تركها لزوجها الخامس ، وتعرت له دون أن تكون عليلة فمال عنها برأسه الى أن انصب الليل ٠٠٠، قالت له : « إني أريد ولدا ٠ لتكن ربي » ٠ فأخذها ، فكانت ليلتهما ، وكنت أنت ٠٠٠

وسمعته ذات ليلة يئن متضجرا ٠ وفي الصباح سألت أمك إن كان الحكيم مريضا فقالت لي : « قضى يومه نائما او مغمض العينين حتى غابت الشمس ، فأطفأ القنديل الذي كنت قد أشعلته ، ثم كان الي حميما راغبا مداعبا حتى لنت واستجبت له الى ما بين الاغماء ٠٠، غير انه استكان فجأة ٠٠،

ــ ورأيته يبتعد عني ويأخذ في الضغط على لحمه ضغطا شديدا ٠ واشتد صراعه صامتا الى ان سال عرقه وجحظت عيناه ٠ فلما سألته من الغد ، عن سبب توتره ، قال إنه يقتل شهوة كانت فيه باردة ٠ فحم حممها ،،

كانت امك تحدثنى عن ذلك سعيدة ، وقد عجبت لسعادتها ٠٠ واستفقت ذات صباح ، بعد ثلاثة اشهر فوجدت امك على جثته باكية ٠٠، وفى فزعها قالت لى : « لقد عاودته نوبة صراعه ، البارحة ، فمات وهو على اعنف ضغط »٠

واعتزلت امك الناس واتخذت من كوخ على شاطىء صخرى عربيد ، مقاما لها حتى اكتملت فى أحشائها ٠ ولما وضعتك قالت لى : « ها هو ولدى سيملأ الوجود أولادا ٠ انه آدم هذا القفر ٠ ليحبلن الأرحام فيكون الأحياء وتكون الحياة » ولم تتكلم من يومها ٠٠، ولقد غار صوتها عاما سمعتها بعده تقول فى غرغرة وهى على فراش الموت : « لقد نذرت الرحمان أن يكون السندباد ملاحا بحارا حتى يعود بالسمكة ٠ بالسمكة التى اذا احترقت يأتلف من دخانها الخلق ويكون العمران » ٠٠٠

* * *

عج عجيج فى البعيد ، فرفع السندباد بصره فاذا الموج جبال صخابة تدحض السطح بيضاء ، مزبدة بين القاع والسماء فتململ السندباد وصاح والهوج يلفه : « من الحالات التى يموت فيها الحس فتغيض المشاعر واذا نحن الى الروح، الى الخاطر العلوى الصرف ، فنرتفع عن انسانيتنا ، عن كمالنا الأكمل ، وندخل رحاب الرب واذا نحن وحدة إله ، شمولا واطلاقا وابداع خلق ٠٠٠ »

واصطفق الموج ورغت شآبيبه ونزل الماء على السندباد جبالا ، جبالا ٠٠٠، فاذا المركب والصخرة والجبل تهتز وتبتعد بعيدا ، بعيدا٠٠٠، واذا به قائم على الماء ، الى بياض يجذبه حتى قام امامه طيف سمكة كالروعة رائعة تتثنى على وقع منغم ، هزهاز ٠٠، ثم رآها تقف فجأة ويعظم حجمها ويستدير حتى استبانت جدارا مرصعا باضواء زبرجدية فهم بالتحرك اليه فلم يقو على ذلك ٠٠، فخسفت عيناه امام الاشعة التى كانت تنصب كالاعمدة الرخامية البيضاء ٠٠ وأحس بان عينيه تقتحمان الجدار فاذا داخله كون نير ، شياؤه تتماسك وتتجانس وتقحم النور فيقحمها ثم تبتلع خيوطه فيبتلعها ، هى كالماء تركبها الالوان والاشكال ٠٠٠

وسقطت من حسه امداد البحر وجمد ماؤه ، واذا بشمس ثابتة تقترب منها امرأة تشبه أمه ، أمه كما وصفتها له جدته : « شعرها فاحم طويل ، طويل ، يغزو طوله امتداد قامتها ، عيناها شهاب ٠٠٠ »

تدانت المرأة منه والشمس وراءها واقفة فأراد ان يتكلم فاذا بصوته يغور فى جعجعة تدور فى رأسه فيرفض الصوت ويسكن لمرور الخاطر فى ذهنه فلا يصعده الى الحنجرة ٠٠٠، تأمل وجهها فاذا مادته حركتها دائبة ، متولدة بيضاء ، تتهيل تهيلات رقيقة فتقوم القسمات مشعة ، شهية كالسراب أو كلجة لذة اذا كان العطشان حالما٠٠ارتفع شعرها فكون كالظلمة ، فاذا هو فى رحابها

واذا هي في اعطافه ٠٠ نظر الى الشمس فوجدها في مستقرها لم تتحرك ، ولم تتحول الساعة ٠٠، وتكون فيه اللفظ فهمس : « اين منيتي ٠ أمناي ان تقف الارض ، ان تجمد الحركة » ٠

وأحس كالرفيف خفيفا يمر عليه فاذا هو كأن لا لحم عليه ولا ماء رقة وانطلاقا ٠٠٠ وعمرت فيه راحة ، هي كسكينة الروح اذا أخذها السلام ٠٠٠

* * *

٠٠٠ انتابته كالرجة أو كما يولد خلق من فيض الخلق الاعظم ، فاذا هو محطوط على صخرة بساحل ينتصب فيه كوخ مهجور ، تلاعبت العواصف بأجزائه فبعثرتها ٠٠٠، التفت اليه السندباد بعين ذابلة وهمس : « انه كوخ أمي ، إني لدافنه متى بلغت المائة من عمري » ٠

وأحس بوهج يلفه فأدلى الى الماء رجليه فانجذب الماء ، فالتفت يبحث عن مركبه بين الصخور الصلداء ٠ المزرقة ، فلم يجد مركبا ولا أثر لمركب ٠٠٠

وتناهى اليه صراخ أطفال يشيرون الى مد البحر هاجما على الارض في جلجلة واصطخاب ، فنزل الى الكوخ يطلب النوم ، فأنكره الاطفال غير واحد ٠٠٠

قال له الطفل : ـ أراك ، يا أبت ترتعش ٠ أترغب في نار وغطاء ٠

فقال له السندباد : ـ لا يا ولدي ، إنها نوبة تعروني كلما وطئت الارض ، ستذهب ككل شيء ٠

ـ أليس لك أهل ؟

ـ بلى ٠ لي أهل ٠

ـ دلني عليهم آدعهم لك ٠

ـ إنهم آتون بعد حين ، قادمون ٠

كان الظلام يعمق شيئا فشيئا فمال السندباد برأسه نحو البحر وبقي يرمقه بعين مخضلة وهدب مبتل ، فنهض الطفل قائلا : « سأعود مع القوم ، مع قومك ، وسآتي لك بطعام » ٠ فقال السندباد بدون أن يصيت : « لقد تهدمت في الاشياء وهمد البلاء ، وتصدع البناء وقام الفناء ، ولفتني الاسطورة ، إني راحل ، راحل ٠٠٠ » وحاول الوقوف فلم يستطع فأغمض عينيه ونام ، أو هكذا بدا له ٠٠٠

تونس في 1 ـ 3 ـ 1970

د٠ غ٠

الحـــاح

بقلم : سمير العيادي

أخشى أن يـفـيضَ اللَّيـلْ
أن يغرقَ عمري في شهقةِ الكَيْلْ
أن يَمُوجَ في حُرقةِ الإفلاَسْ
أخْطُبُوطُ العمرِ خَانقُ الانفَاسْ
أنَـا أنْهشُ في كفيَّ الويْلْ
أنتظر أن يُهْرقَ على خدّيَ النُّعَاسْ

لم يَفْطِنِ النُّورُ للقَصْدْ
لَعبتْ به غِرًا آلاف من تجاويف الوَعْدْ
لَعقتْ رعشةَ الاسْلاك من وعْيِه ومن وعْيِي
لم يُخْبِرِ البرقُ عن صَولَةِ الرّعْدْ
لاَ ولَمْ يَسبقِ الوَعْيُ إلَى نَهْيِي
لم تبْقَ لِي رأس سواكِ وقدْ حُصِدتْ حَصْدْ

حفرَت لِي يَا متَاهتِي يَا زَلْقَةَ حسِّي
حفَرْتِ لِي فِي صَوْتِي حُرُوفْ
حفظْتُهَا الضّحَى عن الهَمْسِ
حمَلْتُهَا حتّى سقْطَةَ الشّمْسِ
حسِبْتُنِي أقْدرُ على العقْرَبِ المعْقُوفْ
حلُمتُ فِي يقْظتِي أنّي أصْرَخُ كاليُبْسِ

س٠ ع٠

المرأة وآثارها الثقافية في حضارة الاسلام

بقلم : محمد الهادي العامري

كانت المرأة فى عصور الازدهار الاسلامى اى فى عصور انتشار المعرفة تدرسُ وتجيز غيرها من اعلام العلماء ۰ ولا يعزب عن الاذهان ان الاجازة العلمية كانت فى القديم بل وحتى بمستهل العصر الحديث تقوم مقام الشهادة العلمية لعهدنا اليوم وتخول صاحبها ان يتصدر للتدريس وكأن هذه اللفظة مستعارة من استجاز اى طلب اجازة اى الاذن من الاستاذ ليروى عنه سائر نظرياته ومروياته وتآليفه واثاره العلمية والادبية فى اى ضرب من ضروب المعرفة وكان الطلاب فى العصور الغابرة شديدى الحرص فى سبيل التحصيل عليها من اساتذتهم الذين كانوا بدورهم يتخيرون انبل الطلاب لاجازتهم ۰ وحتى الاعلام من كبار الرجال كانوا يحرصون على الحصول عليها من ائمة العلم ورجاله ولقد كتب العالم الضليع أبو طاهر السلفى المتوفى سنة 576 هـ الى جار الله الزمخشرى المتوفى سنة 538 هـ يستجيزه فلم يجزه لاول مرة على ما كان عليه السلفى من ضلاعة بالمعرفة وشهرة ذائعة فى الغزارة الادبية والاطلاع الذى لا حد له واعتذر اليه الزمخشرى بقوله : لا يغرنكم قول فلان فى ولا قول فلان وعدد جماعة من الشعراء والفضلاء مدحوه بمقاطيع من الشعر الى آخر ما جاء فى اعتذاره للسلفى الذى قيل عنه : لم يكن فى آخر عمره فى عصره مثله كما فى الوفيات ومن العجيب أن جار الله الزمخشرى الذى رد جواب السلفى بما لا يشفى الغليل اجاز العالمة الفاضلة زينب بنت الشعرى المتوفاة سنة 625 هـ وهى بدورها اجازت اعلام العلماء ليرووا عنها اثارها قال ابن خلكان فى الحديث عن هذه العالمة هى أم المؤيد زينب وتدعى حرة ايضا ورفع نسبها الى الشعرى احد اجدادها : قال كانت عالمة وادركت جماعة من اعيان العلماء واخذت عنهم رواية واجازة وذكر لها اساتذتها الاعلام وتدرج الى القول بانها اجازته وهو طفل وذكر سنة ولادتها ووفاتها فقال ومولد زينب سنة 524 هـ بنيسابور وتوفيت سنة 615 هـ بنيسابور ايضا ۰ وذكر المؤرخون ان على بن الحسن بن عساكر الحافظ كان من بين اساتذته بضعة وثمانون امرأة من خيرة النسوة العالمات الفاضلات ۰

ناهيك بشهدة الكاتبة فخر النساء وكانت من العلماء وكتبت الخط الجيد وسمع عليها خلق كثير وكان لها السماع العالى الحقت فيه الاصاغر بالاكابر . واغرب ما وقع لأبى حيان المفسر الكبير ثلاثة احاديث بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ثمانية من بينهم عالمتان قال اخبرنا المحدث شعيب محمد بن احمد بن محمد بن المؤيد الهمذانى بقرآته عليه والمحدثة الجليلة السلطانية مؤنسة بنت الملك العادل ابى بكر ايوب من شادى قراءة عليها وهو يسمع قالا انبانا أبو الفجر سعيد بن سعيد ابن روح فى كتابه اخبرتنا فاطمة بنت عبد الله بن أحمد الجوزدابنية الى آخر السند المتصل : وكن علاوة عن ذلك لهن اختصاص فى بعض شعب العلوم والادب فمن الاساتذة الاخصائيين فى تعليم الادب مريم بنت أبى يعقوب ذكرها ابن دحية فى كتاب المطرب من اشعار اهل المغرب وقال عنها انها اديبة شاعرة جزلة مشهورة كانت تعلم الناس اى الذكور والاناث الادب وتحتشم لدينها وفضلها وعمرت طويلا وانشد لها الحميدى ابياتا جوابا عن رسالة ادبية كانت مصحوبة بشعر ودنانير ، قال فيها الذى اهدى لها الدنانير انها مكافاة لها على تعليمه وتثقيفه :

مالى بشكر الذى اوليت من قبل   لو اننى جزت نطق الاسن فى الحلل
يا فردة الظرف فى هذا الزمان ويا   وحيدة العصر فى الاخلاص والعمل
اشبهت مريم عذراء فى ورع   وفقت خنساء فى الاشعار والمثل

وهكذا كانت مريم هذه مدرسة للادب ورائعة فى انتاجها ومبدعة فى ادبها ولم تتمالك عندما قرأت الرسالة الشعرية عن اجابة المرسل ومجاراته فى مضمار البيان بشكره على عواطفه نحوها وحسن ظنه بها وكرم اخلاقه فجازته شعرا بشعر فكان شعرها ارق ومعانيها ادق واسلوبها اكثر طلاوة واصفى ديباجة واسلم ما اجابت به صاحب الرسالة الشعرية : كتبت اليه ما يلى :

من ذا يجاريك فى قول وفى عمل   وقد بدرت الى فضل ولم تسل
مالى بشكر الذى نظمت فى عنقى   من اللئالى وما اوليت من قبل
حليتنى بحلى اصبحت زاهية   بها على كل انثى من حلى عطل
لله اخلاقك الغر التى سقيت   ماء الفرات فرقت رقة الغزل
اشبهت مروان من غارت بدائعه   وانجدت وغدت فى احسن المثل
من كان والده العضب المهند لم   يلد من النسل غير البيض والاسل

وظلت هذه المدرسة الادبية تدرس الادب للناس الى ان تجاوز سنها السبعين نتخلت عن ذلك واعتذرت للناس عن مواصلة العمل بتصوير هول الشيخوخة ومبادىء الهرم قائلة فى ابداع فى التمثيل وبراعة فى الوصف ودقة فى

التشبيه واصابة للمحن مما يبرهن عن ذكاء وقاد وطبع في البلاغة فياض ما يأتي :

ومـا يـرتجي من بنت سبعين حجـة   وسبـع كنسـج العنكبـوت المهلهـل
تـدب دبيب الطفل تسعـى الى العصـا   وتمشى بهـا مشى الاسيـر المكبـل

ومنهن المعلمة الاديبة أم العلاء الحجازية كانت بارعة في التأديب خطبها بعض الشيوخ الكبار وكان اشيب فكتبت اليه :

يـا صفـح لا تبـد الى جنحـى   فالليـل لا يبقـى مـع الصبـح
الشيـب لا يخـدع فيـه الصبـا   بحيلـة فـاستمـع الى نصحـى
فـلاً تكـن اجهـل مـن فـي الـورى   تبيـت فـي الجهـل كمـا تضحـى

ولعل هذه الدفائن التي اثرناها واللمع التي سقناها لا تشفي غليلا لان الوقت ضيق والبحث طويل والمرأة ظلت تشارك في نشر الثقافة على نطاق واسع حتى في الدراسات العليا من صدر الاسلام الى القرن الثامن الهجري تقريبا او العصور الوسطى تدرس الحديث الشريف وترويه وتنقله للعلماء فاسنادها عن الرواة الثقاة وتعلم الادب وتفسر القرآن وقد مر ان زينب بنت الشعرى روت ودرست كتاب تفسير القرآن الكريم على مؤلفه الشهير محمود الزمخشرى مباشرة وكانت تربي الناس تربية علمية صحيحة فياحة بالكلمات جياشة بانبل العواطف مع الاحتشام والعفاف والصون والتواضع والشمائل الكريمة والخلق الرضى الذى حمل تلاميذها واساتذتها على التنويه بها والاقتباس من هديها واحلالها المحل اللائق بها مما لو اطرد ذلك السير على ذلك الاسلوب واستغل كما ينبغي ان يستغل لما تخلفت قافلتنا عن ركب الحياة ولما ارتطمت بصخور التخلف الشائن الذى حطم الجنسين المرأة والرجل ورمى بهما في قعر سحيق عندما ساءت حالة المجتمعات الاسلامية وقادها الاستهتار بالتهافت على القيان والجوارى والانغماس في حماة الشهوات فاهمل شان المرأة واعرض عنه اعراضها عن تعلم الشباب فكانت الكارثة التي حلت بالعالم الاسلامي الذى لا يزال يعاني آلامها واثارها ويسعى جاهدا في التخلص منها وتدارك ما فاته من جرائها ٠ ولعل هذه العناية بالمرأة المسلمة التي طفحت بها المجلدات وسجلها كبار المؤرخين وافذاذ الادباء ناشئة عن عناية شرعية اسلامية في اكبار الأم واجلالها واحلالها المحل اللائق بها ٠

م٠ هـ٠ ع٠

ما قالت العرافة ..

شعر : منصف الوهايبي

① جزاء « سنمار »
إذا تكامل البناء
وانتعشت بوادر الحضاره
ولاحت البشاره
سيغضب السلطان
فيأمر الجنود واللصوص والأذناب
أن يفقؤوا عينيك بالحراب
وعندما يعلقون رأسك المثقل بالجراح :
يشتمك التاجر والصانع والفلاح ..

② العنف
لا تلبس أقنعة الزيف ..
لا توصد باب الحريه
في وجه الجيل الزاحف ..
لا تطعن ثورته من خلف ..
وتذكر أن التاريخ الواقف
لن يتحرك إلا بالعنف ..

③ « اليوم خمر وغدا أمر »
يا خيام ..
صدئت كل الأجراس
وانتصب العنف أميرا يحكم بين الناس
فلنحرق ما قلنا من أشعار
يا خيام ..
زرعوا في أحداقي الملح
فتعال الليلة نشرب حتى ينبلج الصبح
ونظن « الديك حمار »
على أنسى الماضي والحاضر والآتي
أنسى ما قالت تلك العرافه
عن هذا الزمن الغاشم
يصلب فيه المظلوم
ويحكم في الناس الظالم

جلد الثعبان

قصة ، بقلم : عبد الواحد ابراهم

نظرت الى أولا ، ثم أخذت تحدق فى وأنا أضحك وأثرثر وأنكت كالطفلة المغرورة · رأيت الانبهار يطل من عينيك · لست وحدك · اعتادت العيون أن تلاحقنى حيثما أوجد · تنفتح · تذوب استعطافا · تغمز · تلحف فى السؤال· تحاصر · تضيق الخناق · تهدد · وأنا لم أعد أبالى · أضحك دائما كما أضحك الآن · لم أعد أهتم بألوان العيون · لم تعد تثيرنى غمزاتها ولم تعد لى رغبة فى استكشاف أسرارها · انقلبت حدقتاى الى الداخل · ضحكاتى التى تسمعها لا يأتيك منها إلا الترديد الأجوف ، أما القهقهة الأصلية فلا تنطلق الى فمى · أردها الى صدرى تماما كما أفعل مع حشرجة البكاء كلما احتجت أن أذوب فى الألم ·

رأيتك تنظر الى منذ دخلت قاعة الحفل ، وبقيت ترصد تنقل خطاى · هل أخذت بجمال كعبى العالى المذهب ، أم سبحت تحلم ببضاضة القدم الفلية الصغيرة ورقة الأصابع القانية ···؟ ما أظنك اكتشفت فيهما شقوقا أو رضوضا ولا أثرا من حصى الشارع ونثار طين الأزقة ومزابلها ؟ عهد ذلك بعيد ، ما أبعد أن تتصوره الآن وأنت جالس هذا المجلس وأنا أرفل أمامك فى مثل هذا البهاء !··

تتأمل تسريحة شعرى ·· كنت أمزق كل الخرق التى يلفونه بها · يعجبنى منظر ذلك الشعر المنفوش المقمل الثائر بسهامه المندفعة الى كل صوب · كان شعرا يدخل الرعب فى قلوب أطفال الملاسين فيسلينى ذلك · يدعوننى عيشه المجنونة فألثاث وأرغى وأزبد من فزعهم وأقسو عليهم غالبا · كدت أختنق طفلا ذات يوم ، وندبت وجه آخر بأظافرى هذه ·

تنظر الى لمعان طلاء الأظافر بشراهة ، وتحمل عينيك كل شوقك الى العناب· هل تعجبك ؟ احذر منها ·· إنها تنغرس بسهولة ومهارة وتترك ندوبا حمراء عميقة لا تمحى فى مثل وجهك الأبيض المطبطب · كانت أصابعها قديما قاتمة كما ترى الآن · لكن مزيجها عجب · ما أبعد أن تتصوره الآن !

وأنت جالس قرب مضيفتنا أحسست بالغيرة تتقد من عينيك اذ أميل الى

الرجل الذى رافقنى الى الحفلة فأضاحكه وأمسك به مازحة متدللة • لا تندفع ! إنه صاحب الملهى الذى تغشاه راقصات كثيرات ، وإنى الراقصة التى يغشاها رجال كثيرون ، فلا أنا امرأته الوحيدة ، ولا هو رجلى الوحيد •• كلانا للجميع • استبعد أن تتصور هذا !

صحيح أنك ترانى لأول مرة • وها أنت تنبهر ، تأخذك فتنة الزينة ورفرفة ثوب السهرة ، تسكرك العطور ورائحة الانثى تمر تحت أنفك • الحرائر ألوان وأشكال • موضات تتداخل • تنسجم مع القدود • تعرى المفاتن • تكسح الارض فى عظمة • أسمالى لم يكن لها شكل ولا لون معين • ارتديها بطرائق تفننت فى ابتداعها ، وصبغتها بكل ألوان الطريق • أزهو بها فى الصيف ، وأرقص فى الأزقة • وأموت بها بردا وسعالا فى الشتاء • إنى اسعل الآن أيضا ، ولكن من التدخين •

تنظر إلى وأنا أنفث الدخان بأناقة وكأننى دربت على ذلك منذ الصغر • عرفت التبغ صغيرة • يجمع أبى أعقابا تفتتها أمى وأجففها فى الشمس ، ثم يعود فيبيعها قراطيس صغيرة فى المراكض • أشعل أبى مرة واحدا من أعقابه وكوى به زندى • البقعة المستديرة السوداء ما زالت بارزة هنا • كنت أهرب من الدور التى يدفعنى للشغل فيها •

هات يدك • ألمس الدائرة الصغيرة • وألمس أثر هذا الجرح تحت ذقنى • هناك انغرس ظفر أمى لما سرقت منها قطعة خبز أرادت أن تستلها من فمى فتمزق جلدى الطرى • وكانت أحشائى تتمزق من جوع الليل والنهار •

هل تناولت من كل أطباق المأدبة ؟ لا شك أنها لذيذة • لم يتخلص الحاضرون بعد من أطباقهم • لا ينبغى أن أفعل مثلهم حفاظا على رشاقتى • كنت كالعود اليابس • وكانت أمى كذلك • طافت بمنازل كثيرة • وجرى أبى طويلا وراء أعقاب السجائر وأشياء أخرى يلتقطها من الارض • وتسول اخوتى وسرقوا ، ولكن ما شبعوا يوما •

كزهرة برية جافة نشأت فى طين الملاسين ، نهبة لريح المزابل ورطوبة السباخ • مسلولة مهترئة منذ الصبا • يصعب عليك تصور ذلك • تنظر الى الشيطان فى عينى ، وتفتق الورد فى رقبتى فيهيج شوقك الى شم الورود • أراقص رفيقى فيضطرب قلبك اضطراب جسدى المستجيب للحن وينضغط الدم فى أذنيك • ليس هذا مفعول الوسكى وحده مع أنك تشرب كثيرا • كف عن الشرب !•• الخمرة لم تخلق لمن يعيشون حاضرا مجيدا •

أنت تحب الرقصات الشرقية . البطن العارية والزنود والأفخاذ ، هـذه المدورات تفتنك . لقد فتنت كل من رآها . صفق مع أهل البيت ، وانظر حيثما شئت إنه حق مباح ! عذريتي .. رعشة الجفن وحمرة الخد فقدت احتياجي اليهما من زمن بعيد .

رقصت اكراما لصديقتي ربة البيت . وإكراما لك همست لى هى نفسهـا موصية بالعناية بك والتسرية عنك . لا بد أن تكون « شيئا » هاما في حياتها.. هل اشتمت رائحة الرغبة منك كما رأيتها أنا واضحة في عينيك ورقصتى تهز الأعصاب وأرجاء البيت ؟ ولكنك كنت حزينا ، وكنت تشرب بنهم حينا وفى سهوم حينا آخر . وكنت أقهقه طول الوقت . صار من عادتي أن أضحك أو أن أبكي وأن أكون لا شيء بين الاثنين . لا قدرة لى على غير ذلك .

ترددت في مراقصتى مع أنك كنت تريدني بماذا ؟ ! كان لك أن تأخذني منذ شئت للمرة الأولى . لم يعد لى ما أمنعه بعد أن منحت كل شيء منذ صباى . تتناولنى بين ذراعيك . تتحسس رقبتي بشفتيك . تهصر خصرى بذراعك . تضمني الى صدرك وتهمس في أذنى . تضحكني . تهزني ، حياتى كلها هزات . وأنا معك في رقصك أرعى خطواتك وأستجيب لمحاولاتك وأصعد شهوتك كي تتذوقها على مهل قطرة بعد قطرة فتشعر بطيب السهرة ولـذة العيش وكـرم وفادة صديقتنا المشتركة . هز هذا العود !.. فكم هزته قبلك رياح وأعاصير . هزته وهو غض طرى . فتكت به زوابع ما كنت لتقف أمامهـا أنت الرجـل العظيم .

ليس ما تمسح به خدك هو جلدى .. إنك تلامس أطلية وأدهانا تخفى الجلد الحقيقى الذى تمزق مرات ، وكم وددت أن يتمزق تماما فأخرج منه كجلد الثعبان وأتركه ورائى وأفر بعيدا .. ولكنه يعود فيكسونى ويعيدني الى خلقى القديم . لذا فأنا قديمة جديدة دائما . تلتئم جروحى باستمرار . مظهر واضح لعملية الخلق المتكرر . كل الجلود تهترىء أو تتمزق ولا تفنى . أما جراح الروح ...

وسكتت ثم قالت : أين روحك الآن ؟ لا شك أنها انتشت أو غرقت تمامـا كروح هذا الذى يعلن كفره من شدة الانبساط والسرور .

قال : دعينا من حديث الروح !..

فأضافت : دعنا .. ضع رأسك على كتفى واستمر فى الدوران . ضع يدك على زندى لتلمس أثر الكى الذى حدثتك عنه .. قبلها مزقنى ابن عائلة كبيرة اشتغلت عندها ، وبعده تناولنى خادمهم الأقرع المترهل ،ثم أرادانـى معـا

وتشاجرا من أجلي فسخطت العائلة الكبيرة وثارت في وجهي فهربت ٠٠ فتلقاني عقب سيجارة أبي ٠ كان أبي يجمع أعقاب السجائر ثم يبيعها حشيشا جافا ٠٠

قال : دعينا من أعقاب السجائر !٠٠ لقد قلت ذلك من قبل ٠

قالت : وتمزقت بعد ذلك عدة مرات ، فأحاول كل مرة الفرار من جلد الثعبان ، ولكنه يندمل وأعاد اليه ، والى خلقي القديم ٠٠ ولكن الروح ٠٠٠

قال : دعي حديث الروح ٠٠ هل نذهب الى بيتك ؟٠

آخر ساعات الليل ليست منه وليست من النهار ولا تدخل في حساب الزمن ، هي وعاء فضي أغبش يملؤه السكون والأطياف ، يلف الدنيا بغلاف شفاف خيالي تتجاوب معه الارواح المنتشية بعد ليل المعاقرة الطويل ، فتتحول الايدي الى أجنحة والارض الى مسارب قطن ، وتنطلق الحقائق من قماقمها وتهوى الحواجز وتتعرى الارواح داعية الاجساد الى مثل ذلك ٠ هي ساعة فراش ٠٠٠

قال : خذيني معك الى البيت ٠٠ سأشفي جراح روحك !٠

قالت : انتبه لرجليك ٠٠ سأحمل روحي جريحة الى القبر ٠٠ وتعال معي الى البيت ٠

٠٠ تضحك الداعرة وهي توكل أمرك الى ٠ سأسهر على راحتك من أجلها ، من أجل سفالتها ٠ قد وفقت بيننا ٠ أنت في حاجة الى امرأة ، وأنا في حاجة الى رجل ليلتي هذه ٠٠ الى كل الرجال لكل الليالي ، ما دامت الجراح تندمل ، والجلد يلتئم ، والزمن يمر في لامبالاة ٠ أما الروح ٠٠٠

قال : دعي حديث الروح ٠٠ خذيني وسأشفي جراحها ٠

قالت : مللت حديثي ٠٠ لا تهمك الروح ٠٠ تريد الجسد ٠٠ تريد أن تنسى ٠ أنت في ليلة غفلة ونسيان تسرقها من دهرك ٠ تنفلت فيها من ربقة نفسك وواجبك وظروفك ، وحياتك كرجل ذي قيمة كبرى يحمل عبء العالم على كتفيه ٠ ها أنت تضيق بغثيان السكر وطول السهر ، وتتجهم سحنتك ويتهدل كتفاك ٠ ماذا دهاك يا بطل ؟ ! هل أدهشتك غرابة الحقيقة تطل من خلف المساحيق ؟ أراك خلفي تحدق في المرآة كأنك تراني لأول مرة ٠ أراني قد أضفت الى كتفيك عبئا آخر ٠٠ ولكن تلك هي الحقيقة ٠ وهل لنا مهرب منها ؟

أراك تضيق بكل ما حولك ٠ الشمس تطل من النافذة وأنت تريد الخروج للقائها ٠ تبحث عن الباب ٠ تود الذهاب الى حجرتك ٠ الغثيان يرهقك ٠ لقد نصحتك ألا تشرب كثيرا ، إن الخمر لا تصلح لمن يعيش حاضرا مجيدا ٠ هذا هو الباب ٠ عد الى بيتك ٠ اخرج الى الشمس ٠

ع٠ ١٠

كلمات قبل الاعدام

شعر : الطيب الرياحي

اْلحَبْلُ حَوْلَ الرّقَبَه
وَاْلحَقّ فَوْقَ شَفَتَيِ المُلْتَهِبَه
كَالشّمْسِ يَبْدُو بَاسِما
كَآيَةٍ مُنَزّلَه
فَشَدّدُوا قَبَضَاتِكُمْ حَوْلِي أنَا
وَحَدّقُوا فِي المِقْصَلَه
مَا دُمْتُ مُجْرِما أدَانَنِي اْلجَمِيعْ
الْمَاءُ وَالاغْصَانُ وَاْلجُذُوعْ ...
حَتَّى الدّوَاجِنُ البَكْمَاءْ
أدّتْ بِصَوْتِهَا الشّهَاده
قَالَتْ بِأنَّنِي سَلَبْتُهَا الدّيدَانْ
هَشَّمْتُ فِي أحْشَائِهَا البُيُوضْ
وَأنَّنِي نَتَّفْتُ رِيشَهَا المُزْدَانْ
لاطْعِمَ الوِسَاده ...

●

يَا سَادَتِي القُضَاة مَا تَنْتَظِرُونْ
المَوْتُ فِي أيْدِيكُمُ ،
وَاْلجُوعُ فِي الْعُيُونْ
فَنَفّذُوا اْلحُكم عَلَيّ وَاشحذوا السكين
وَاسْتَنْزِفُوا أصَابِعَ اليَدَيْنْ
لكنّمالا تَحْرِمُواالدّواجِنِ البكْمَاءْ
وَالأعْيُنَ الرّمْدَاءْ
لاَ تَحْرِمُوهَا مِنْ دَمِي
فَإنّهُ الدّوَاءْ ...

●

لَمْ يَبْقَ إلاّ البُكْمْ
فِي المَسْرَحِ المُنْهَارْ
يَخْتَزِنُونَ النّارْ
وَيَعْبُدُونَ السّلْمْ ...

●

تَلاَحَمَ السَّيْفُ مَعَ الكَمَامَه
وَالثّعْلَبُ المَخْصِيّ وَاْلحَمَامَه
فَأوْلَدُوا لَنَا الجَمَاجِمَ الكَبِيرَه
وَالصّحُفَ الاجِيرَه ...

●

فِي قَلْعَةِ الْإِعْـلاَمْ
يُعْدَمُ صَوْتُ اللهْ
وَتُلْجَمُ الافْــوَاهْ
بِخُبْزَةِ الاحْـلاَمْ ...

– انطباع شخصي –

أَنَـا يَـا أَيُّهَـا الرِّفَـاقْ
مِنْ أَحْرُفِي صَنَعْتُ مِشْنَقَاتْ
بِأَحْرُفِي حَفَرْتُ مَقْبَرَاتْ
أَنَا أَمَامَ السَّيْفِ يَا أَحِبَّتِي
نَطَقْتُ دُونَمَا اسْتِنْطَاقْ ...

مطالعات

قرطاج مدينة عليسة العظيمة

تاليف : محمــــد فنطــــر

تقــديم : البشير بن سلامة

لست مؤرخا ولا باحثا فى التـاريخ حتى يتيسر لى أن أتحـدث جازما عن الكتاب الذى بين يدى وهو : قرطاج مدينة عليسة العظيمة لصـديقى وأخى الاستاذ محمد فنطر الباحث والمحقق والمختص فى الفترة البونيقية من التاريخ القـديم ·

ولست مالكا للمادة التاريخية الثرية التى يتصرف فيها كاتبنا بيسر حتى أدل على مواطن القوة ومواطن الضعف ولكنى سأتحدث عن الكـاتب كقـارىء شغوف بالتاريخ سواء فى ثوبه القديم الذى نسجه مؤرخونا القدامى كالطبرى وابن الأثير وغيرهما أو فى ثوبه العلمى الموضوعى الجديد الذى عرفناه عنـد الباحثين والمؤرخين الغربيين ·

وليس هذا هو الكتاب الأول الذى قرأته عن قرطاج بالفرنسية بل قـرأت الكثير وتتبعت مآثر هذه المدينة العظيمة عن كثب واستمعت الى دروس كنت أخرج منها محتارا إذ فى نفسى ما يدفعنى الى أن أعتـز وأفتخـر وفى ظاهر الدروس ما يدين ويحقر · ولكن كتاب محمد فنطر المحرر بالفرنسية وجدته يخرج عن هذه الكتب كلها ويبزهـا فى ميدانهـا : معـرفة وبحثـا وتحقيقـا وموضوعية ·

ولعل القارىء الكريم يتبادر الى ذهنه أننى وجدت فى هذا الكتاب ما يتجاوب مع شعورى فى الاعتزاز بتاريخنا ومحبته فقط إذ عند ذلك أكون متجنيـا على كاتبنا الباحث بل إننى وجدت الى جانب ذلـك الموضـوعية والمنهـج العلمى البحت الذى أنصف قرطاج ووضعها فى إطارها الحقيقى · وهو بذلك يرد على ما أعتاده المؤرخون القدامى الرومانيون أعداء قرطاج من تحقير وحط وما جرى عليه المؤرخون المعاصرون من متابعة لهذا الرأى ·

هم نفوا عن قرطاج كل طرافة فى حياتها الثقافية والفكرية وأضفـوا على أهلها كل النعوت التى لا تشرف مستندين الى ما عـرف به القرطـاجيون من

تعاط للتجارة وجرى وراء كل نفع متعللين بفقدان الوثائق ، راكنين الى الافتراضات والتخمينات ٠

كل هذا أسقطه الكاتب بالحجة والبرهان وأمكن له أن يؤلف بين نزعتين إثنتين بين حبه لبلاده وحبه للتاريخ ٠ ولعل الذى قاده الى ذلك هو ما وصف به صاحب مقدمة الكتاب مدير معهد الأثار الاستاذ الهاشمى السبعى من ان للاستاذ فنطر : « نوعا من الفهم الباطنى لواقع التاريخ القديم الذى وإن بعد فى الزمن فقد بقى ماثلا حيا فى ضمير كاتبنا » ٠

هذا التوفيق الذى حالف الكاتب فى تصور تاريخ قرطاج ليس اعتباطيا بل إنه نابع من خصال يلمسها كل من يتحدث الى محمد فنطر كالصدق والاخلاص والحماس وهى خصال شحذتها المعرفة والاتجاه العلمى الذى يحلل ويشرح ويعلل ويقارن ويناقش ويضرب الامثلة ٠

واتجاهه هذا نجده فى كل الفصول الاحد عشر التى استعرض فيها كل نواحى نشاط أهل هذه المدينة العظيمة فى العهد البونيقى فى حلهم وترحالهم ، فى سلمهم وحربهم ، فى تجارتهم وعبادتهم ، فى اقتصادهم وثقافتهم ٠

ولكنه فى جميع هذه الفصول يحرص كما قال : « على أن يبتعد المؤرخ عن كل حكم فى حدث ما مقتصرا على شرحه وفهم النسق الفكرى الذى أوجده » ٠

بهذا أمكن له أن يحطم كل ما تعود لوكه المؤرخون المهتمون بتاريخ قرطاج البونيقية وذلك بطريقتين اثنتين إما بالكلمة الواحدة الراشقة التى تهدم صرحا كاملا من الافتراضات وإما بالتحليل والمناقشة الوافية ٠

ففى الصورة الاولى نجده مثلا يرد على من يعزو فى استنتاج مطول رسم المربع الموضوع على زوايته والموجود فى الزرابى الى أصل فينيقى يرد عليه بكلمة واحدة وهو أن مثل هذه الرسوم موجودة عند الأفارقة قبل دخول الفينيقيين٠فتنهار وبسهولة وبعصا سحرية كل الاستنتاجات حتى أن القارىء يعجب لهذه القدرة الممتنعة التى تتصدى لأعلام شهد لهم القاصى والدانى بالمعرفة والتضلع فتجعلهم يتضاءلون أمامه بسرعة ٠

وفى الصورة الثانية تجده مثلا عندما يتصدى الى مسألة التضحية بالاطفال لا يتحمس ولا يرد رد المستنكر بل يحاول أن يضع هذه العادة فى اطارها التاريخى فيزول بذلك كل ما علق بالاذهان من وحشية القرطاجيين ٠

فالكتاب إذن علمي بأتم معنى الكلمة ، ومنصف كأشد ما يكون الانصاف موضوعى الى حد الصرامة والحذر ولكن فيه طلاوة هى من قبيل الروح الادبية التى تمتع وتسحر وتأخذك اليها أخذا فى لطف وتؤدة فتنصاع اليها مرتاحا متذوقا ٠

وهو الى ذلك يشعرك بأنه من واجب التونسى الباحث وفى قدرته أن تكون له نظرة خاصة للامور ومن بينها التاريخ تخرجه عما ألفه عند أساتذته الذين حرصوا فى كثير من الاحيان على أن ينظروا نظرة تهمهم وتخدم مشاغلهم ، فلا غرو إذن ان يكون عمل الاستاذ محمد فنطر قد أكمل من عدة نواح ما قام به أساتذته الغربيون من بحوث فى هذا الميدان إذ شهد له بذلك علنا واحد منهم (*) ، وشهد شاهد من أهلها ٠

وأخيرا فان هذا الكتاب بقيمته العلمية تفتخر به المكتبة التونسية وتعتز به وأملنا أن نجده بين يدى القراء فى لغته العربية ٠

البشير بن سلامة

اقرؤوا فى الأعداد القادمة

- « كلمات منثورة » بقلم : البشير المجدوب
- « غرفة خربة فى الخلاء » قصة : لرضوان الكونى
- « الاعدام » قصة : ليوسف الحناشى
- « ماذا لو لم يكن لقاء » قصة ، بقلم : عمر الببه
- « حوار فى الأفق » مع الدكتور المغربى محمد العزيز الحبابى
- « الصورة الشعرية » فى « غير العمودى والحر » بقلم : عبد الجبار الشريف
- « الأمومة فى الشريعة والأدب » بقلم : محمد الهادى العامرى
- « الأحمرة » قصة ، بقلم : محمد باردى
- « غريب فى عالم آخر » قصة ، بقلم : محمود دمق
- « بروميثيوس آخر » شعر : المنصف الوهايبى الخ ٠

(*) الاستاذ بيكار G.C. Picard فى محاضرة له بتونس فى جوان المنصرم ٠

مجلة مركز الفنون والتقاليد الشعبية

بقلم : محمد فنطر

لا شك أن الفنون والتقاليد الشعبية هى خلاصة ما تعيشه الشعوب عبر الزمن • تجد فيها ما تنغمس جذوره فى أعماق العصور الحجرية وتجد فيها ثمرة أحدث العوامل الحضارية • وفى الفنون والتقاليد الشعبية نلمس نظرة المجموعات البشرية تجاه الحياة وفيها أيضا ردود فعل إزاء الظروف السياسية والاقتصادية والدينية التى أحاطت وتحيط بها • وبفنونها وتقاليدها تعرب الشعوب صادقة مخلصة عما يخالجها من تخمينات وعواطف وآمال وطموح • بل كثيرا ما تكون تلك الفنون والتقاليد الشعبية أداة مقاومة ونضال فى سبيل مثل أعلى • فبدراستها يمكنك الغوص فى أعمق طبقات الروح الجماعية • فتتعرف على ما تكنه الشعوب وتقف على الظروف التاريخية التى عاشتها •

فكل حركة من الحركات الشعبية وليدة ماض عاشه الشعب الذى يقوم بتلك الحركة • وقد تكون الحركة أغنية نظم كلماتها شاعر أصيل واقتبست نغماتها من حصيلة النغمات التى منت بها العبقرية الشعبية • وقد تكون تلك الحركة ثوبا مرصعا بالصور المعبرة والالوان الزاهية البديعة ثوبا حاكته يد لها من الحذق ما يقيها شر الخروج عن الأصالة الحق •

وقد تكون الحركة رقصة فردية أو جماعية وقد تكون صورة ترسم على الزجاج فتقرئنا قصة أبطال تحن لذكراهم قلوبنا • وقد تكون الحركة غير ذلك مما يتعلق بالانسان والمحيط الذى نشأ فيه وترعرع •

فللفنون والتقاليد الشعبية قيمة عظمى تفطنت لها الشعوب الحية حتى غدت لا تبخل بأموالها وجهودها فى سبيل المحافظة عليها وإثرائها ودراستها والتعريف بها •

وفى نطاق النهضة التى تعيشها بلادنا منذ التحاقها بصفوف الشعوب اليقظة

الحرة نشأ مركز الفنون والتقاليد الشعبية وهو أحد الفروع الأربعة التى يحويها معهد الآثار والفنون الكائن بدار حسين . ومن نشاط هذا المركز الفتى اليافع أنه يصدر مجلة يجد فيها القارىء خلاصة أبحاث وتفكير وتمحيص مما يقوم به ثلة من أهل الذكر فى هذا الميدان الشيق وإن كان عسير الولوج .

وتحمل هاته المجلة العلمية الفنية اسم « كنش الفنون والتقاليد الشعبية » ولقد ظهر العدد الثالث منها خلال شهر ماى 1970 وجاء على غرار العددين السابقين حافلا بالدراسات والتحقيقات فقدمت السيدة « سميرة ستهم » دراسة ضافية حول « حلة الزفاف بتونس » على أن دراستها تمر بنا بمختلف أنحاء البلاد لتصف لنا الحلل وتقارن بينها محاولة الوقوف أحيانا على أصل الحلة ومأتى الزخارف التى تتحلى بها . من ذلك ترى سميرة ستهم » تقارن بين حلة الزفاف المعروفة بالمهدية وبين ما يرتديه أشخاص رسمت صورهم على ألواح الفسيفساء . والمعلوم أن بلادنا أثرى بقاع العالم فى هذا الميدان .

وقدمت لنا فتحية السخيرى غطاءين من حياكة مدينة تستور الأندلسية . فتحدثت الكاتبة بادىء ذى بدء عن تسمية الأغطية وعن مختلف وظائفها . من ذلك أبرزت الفرق بين البطانية والفراشية . وأشارت فى دراستها الى طرق تنظيف الصوف ونشفه وغزله . وفيها فقرة حول الزخارف التى تتحلى بها تلك الأغطية . وتكون تلك الزخارف أشكالا هندسية أحيانا وقد تكون صور أحياء من أشجار وحيوانات وبشر . وتجدر الاشارة الى الاهتمام الذى أعارته فتحية السخيرى تجاه مدينة تستور . ففى العدد الثانى من هاته المجلة قدمت دراسة دقيقة حول تقاليد الطبخ الأندلسية بمدينة تستور ووصفت بعض الأكلات كالسفنج والعصيدة والحلالم والمرقة الحلوة ومقرونة الأبارى وغيرها .

لكن لنتصفح هذا العدد الثالث من جديد حيث تناول الأب أندرى لويز موضوع غراسة الزياتين فى جبال مطماطة . فتعرض الى مشكلة وجودها فى هاته المناطق الجافة العسيرة . ويبدو أنها احتضنت الزيتونة منذ زمن بعيد سبق الفتح العربى الاسلامى . فقد عثر هناك على معاصر أثرية تعود الى الأيام التى شهدت بلادنا جزءا من الامبراطورية الرومانية . ثم يصف لنا الأب أندرى لويز الطرق التى يتوخاها الفلاح لغرس الزياتين وسقيها وشذبها . ومن ذلك يتخلص الى الزيت وطرق استخراجه من حبات الزيتون . ويصف لنا المعاصر التى لا تختلف فى جوهرها عن التى عرفتها بلادنا فى العصور القديمة . فهى دراسة دقيقة مدعمة بصور شمسية تساعد القارىء على الفهم .

واعتنت الآنسة كليمانس سوجيى بدراسة حول الأسد ومكانته فى الفنون

الشعبية التونسية • من ذلك صورة أسد مطرزة على رداء من صنع مدينة المكنين ترتديه العروس فى اليوم السابع من زفافها ويبدو أن الأسد يشير هنا الى العريس •

ودرس محمد المصمودى مدير مركز الفنون والتقاليد الشعبية لوحتين من الزجاج المزخرف ورسمت على كلتيهما مجازفة الأمير عبد الله بن جعفر مع آمنة بنت الملك الأكبر • فافتتح محمد المصمودى دراسته الموضوعية بوصف دقيق للصور والأشكال والألوان التى تتحلى بها كلتا اللوحتين • وأثبت أن هذا الغرض الفنى مقتبس من الأساطير التى تولدت عن الفتوحات الاسلامية بافريقية التى ينسبونها الى الواقدى •

ولا شك أن فى هاته الصور ما يعود الى أعمق طبقات تراثنا الأصيل • فمن بين الصور التى رسموها على هاته الألواح الزجاجية ترى صقرا وقد التقط حية بمنقاره الفتاك ، ولهاته الصورة أصل عريق فى تراثنا الفنى المعبر وذلك أننا نجدها فى بعض الاحيان منقوشة على موسى الحلاقة البونيقية كما نجدها منحوتة على بعض النصب •

وكيف نتحدث عن كنش الفنون والتقاليد الشعبية دون أن نشير الى الصفحات التى تجمع فيها مصادر من كتب ومجلات تتعلق بتونس وتاريخها وعاداتها وتقاليدها وفنونها • ولئن عمدت أسرة المجلة الى جمع تلك الوثائق فذلك سعيا لتيسير عمل الدارسين والباحثين ممن تعلقت همتهم بمعرفة بلادنا وتراثها •

م• ف•

أضواء الفكر

• « **حياة قرطاج وموتها** » :

كتاب جديد يؤلفه المؤرخ الفرنسى « جلبار بكار » وتصدره دار هاشات للنشر بباريس 1970 .

لقد عرف الاستاذ « جلبار بكار » بدراساته وكتبه التى صنفها حول تاريخ بلادنا القديم وقرطاج خاصة . ومن بين هاته الكتب « عالم قرطاج » ومنها كتاب سماه « الحياة اليومية بقرطاج فى عهد حنبعل » وتجدر الاشارة أيضا الى كتاب ثالث صدر بباريس سنة 1967 وتناول فيه المؤرخ شخصية أحد الابطال التى أنجبتهم أرض بلادنا : حنبعل ، على أن المؤرخ لم يقتصر على دراسة شخصية حنبعل والظروف التى أحاطت به من يوم ولادته الى أن وافاه الأجل المحتوم بل كان الكتاب مناسبة اغتنمها المؤرخ ليسلط أضواء على مختلف زوايا الحضارة البونيقية .

وعرف الاستاذ جلبار بكار من خلال كتبه الآنفة الذكر بتسرعه فى إقامة الافتراضات التى قد يغلب عليها الخيال . والخطر فى ذلك ان تلك الافتراضات تقدم للقارىء فى ثوب مغرى من حيث الشكل والصور . والخطر فى ذلك ايضا أنه كثيرا ما يقدم جلبار بكار افتراضاته كحقائق تاريخية لا تقبل الشك . فهذه ظاهرة تفطن لها المؤرخون وأصبحوا ينظرون الى كتب جلبار بكار باحتراز وحذر .

ومما يؤاخذون به الاستاذ جلبار بكار نظريات ومواقف لا تخلو من العنصرية . فلقد بالغ فى أحكامه على قرطاج ولم يتردد فى العمل على تشويه سمعتها . من ذلك قوله إن القرطاجيين عاجزون بطبعهم عن الخلق فى ميادين الادب والفن . بل تراه يشير بالحاح الى عيوب القرطاجيين استنادا الى ما قد يجده فى كتب القدماء من يونان ورومان وهم كما تعلمون من ألد أعداء القرطاجيين .

كذلك عرف جلبار بكار فى أوساط المؤرخين فهو العالم الكبير ذو المعرفة الواسعة لكنه يفرط فى حياكة الافتراضات الهزيلة ولا يشعر بحرج ، وله من

المواقف والنظريات الخطيرة الزائفة ما يجعله يحيد عن طريق العلم والموضوعية وينزلق فيما تمليه عليه عاطفته وأهواؤه السياسية ٠

كذلك عرفنا الاستاذ جلبار بكار قبل صدور كتابه الاخير فى شهر جوان 1970 وعنوانه « حياة قرطاج وموتها » ٠

وبهذه المناسبة حل المؤرخ الفرنسي بتونس لتقديم كتابه فى نطاق الحفل الذى نظمته الشركة التونسية للتوزيع بمناسبة أسبوع هشات «Hachette» فقدم جلبار بكار كتابه الجديد فى محاضرة ألقاها فى دار ابن رشيق ٠ ولمسنا من خلالها تحولا كبيرا فى مواقفه المنهجية ٠ والظاهر أنه ابتعد عن الأحكام التى كان يسلطها على قرطاج وحضارتها ٠

ففيما يتعلق بمواقفه المنهجية نرى أنه لا يقدم افتراضات بسهولة كما كان يفعل بل أصبح يتوخى الحذر ويشير بالحاح الى أنها مجرد افتراضات قابلة للمناقشة بل قد يأتى ما يفندها ٠ وفيما يتعلق بمواقفه ونظرياته إزاء قرطاج وحضارتها نراه ينظر الى فن قرطاج بمنظار لم نعرفه عنده من قبل ٠ وصرح الاستاذ جلبار بكار فى محاضرته الاخيرة أن لقرطاج فنا يختلف عن الفن اليونانى وهذا الاختلاف ناتج عن اختلاف فى النظرة تجاه الحياة وليس هو نتيجة عجز أو عقم فنى ٠ وقد طاب لنا أن سمعنا المؤرخ الفرنسى هذه المرة ينوه بقرطاج وبالدور العظيم الذى لعبته فى حوض البحر الأبيض المتوسط ٠

محمد فنطر

إصلاح خطأ

ورد فى قصيدة جعفر ماجد (نهر الميكونغ) اخطاء مطبعية فى البيت الثالث والسابع فيصبحان كما يلي :

جنازة الماء انغام يوقعها صوت من الصمت لا يستوقف الاذنا
عجل بهم لا تفكر فى مواكبهم كلا ولا تعطهم قبرا ولا كفنا

◆ **اللغة العربية ومشاكلها من خلال مجلة « الفكر » :**

أهدانا الأستاذ الشاب عبد السلام المسدى نسخة منعمله الذى قدمه بنجاح باهر آخر هذه السنة الجامعية للحصول على « شهادة التأهل للبحث » وهو يتناول كل ما نشر بمجلة « الفكر » من سنة 1955 الى سنة 1969 فى واقع اللغة العربية ومشاكلها • وقد كنت مسرورا أن أحضر الجولة الأخيرة من نقاش هذا العمل فى الجامعة باشراف الاساتذة : عبد القادر المهيرى ، وأحمد العايد ، ورشاد الحمزاوى ، وظهرت فيه حيوية عبد السلام المسدى • ثم اطلعت على عمله فوجدته وافيا شاملا لأهم ما ورد فى المجلة من مشاكل تتعلق باللغة العربية خاصة وهو يعد باكورة لعمل أعم وأشمل سيقوم به المسدى فيما بعد فى ميدان متشعب كهذا الميدان • نهنىء الاستاذ الشاب ونتمنى له إطراد النجاح والتوفيق • ب• ب• س•

◆ **نظريات بن جنى فى النحو :**

هذا هو عنوان الأطروحة التى قدمها الاستاذ عبد القادر المهيرى ونال بها الدكتوراه باستحسان فائق وبهذا يعزز جانب الجامعة فى ميدان اختص به منذ زمان وظهرت خبرته فيه عند مشاركته فى كتب النحو التى أعدها بالتعاون مع ثلة من الاساتذة لتلاميذ التعليم الثانوى • نهنىء صديقنا الاستاذ ونتمنى له إطراد الانتاج وكبير الافادة •

◆ **الخلافة الفاطمية فى المغرب :**

هذا عنوان الأطروحة التى نال بها الاستاذ فرحات الدشراوى الدكتوراه وهو ثمرة عمل دام ما يقرب من 13 سنة بين فيه فضائل هذه الدولة فى هذه الديار • نهنىء صديقنا الاستاذ وندعوه الى تعزيز المكتبة التونسية بمثل هذا الانتاج فى المستقبل •

◆ **الصحافة وبدء الطباعة فى تونس :**

هذه أطروحة أخرى قام بها صديقنا الاستاذ المنصف الشنوفى ونال بها الدكتوراه • وهو عمل نفتقر اليه اذ هو يعرفنا بالضبط بفترة النهضة التونسية التى بدأت مع انتشار الصحافة وهى تكاد تكون مجهولة بالنسبة لكثير من التونسيين • نهنىء صديقنا ونشكره على عمله الجليل •

◆ **إنتاج دار سيراس للنشر » :**

أصدرت «دار سيراس للنشر ـ تونس» كتابين : الاول مجموعة شعرية بعنوان « اللحمة الحية » للاستاذ صالح القرمادى ، والثانى بعنوان :

« ونصيبى من الأفق » للاستاذ عبد القادر بن الشيخ • ونحن إذ نرحب بهذين الكتابين الجديدين لا يفوتنا أن نشكر الصديق محمد بن اسماعيل مدير دار سيريس للنشر على مجهوداته الموفقة ونرجو أن يواصل عمله حتى يساهم فى إثراء المكتبة التونسية •

• المجزوم بلم للشاعر محمد الحبيب الزناد :

صدر عن دار الثقافة ابن خلدون مجموعة شعرية للشاعر محمد الحبيب الزناد وعنوانها : « المجزوم بلم » • وقراء مجلة « الفكر » يعرفون هذا الشاعر الشاب الموهوب بما يطالعهم به من شعر فى كل شهر • ومعلوم أن محمد الحبيب الزناد هو من جماعة شعر « غير العمودى والحر » • وما قامت به دار الثقافة يعد بادرة طيبة فى سبيل التعريف بالاتجاه الجديد فى الشعر العربى وذلك تعزيزا للجهود التى تقوم بها دور نشر أخرى فى باب العمودى والحر •

• فى معرض مطيمط :

الفنان الذى يرسم الزمن

إن الانسان المعاصر يعانى أزمة دائمة وليدة العصر تدعى « **اليقظة** » فنحن أحببنا أم كرهنا يقظون باستمرار ، تعانى أعصابنا هذا الاستعداد الدائم للمواجهة ورد الفعل ؛ الحياة تسرع وتدوس الواقف •• ونحن نحدق باصرار يصل أحيانا طور البلاهة • يقظون نحن لا نتعب ، يجب أن لا نتعب • وفى خضم وجحيم هذه اليقظة ـ الوباء •• نجد بعد لأى غفوة أو ما يضارع الغفوة صفاء واخضرارا •

كان معرض الرسام محمد مطيمط بمثابة الغفوة لأعصابنا ، ارتحنا عنده واحته قليلا فأصبنا نعمة مباركة لا تتاح كثيرا فى الزمن الراحل الراحل •

كل اللوحات مرسومة على ورق عادى بالماء والاكواريل،وبذلك تجنب مطيمط الثقل وارتاح الى الايحاء والاشارة ، بفضل رسم اشباح الاشياء لا الاشياء نفسها •• تبدو المناظر الطبيعية وراء غلالة حالمة من الضباب •• كلها تسبح فى هذا المناخ الموحى ••• تلفها هالة من الغفوة •

ولا أنكر ما لهذا الفنان من طابع خاص ، تشبث به فى كامل أعماله المعروضة لدرجة التشابه الكبير ـ ولعله المفرط ـ بين كل اللوحات • فهى خالية جميعها من عنصر الحضور البشرى ، كأن المشاهد فى عينى الرسام نفت وجود الانسان ، بل أبعد من ذلك نكتشف أن انعدام الناس هو نزوع لاظهار الطبيعة بصفائها وعذريتها ، كأنما الانسان عنصر من عناصر تزييفها أو إفقادها

بدائيتها المحببة ، وفى هذا إن كان صحيحا دعم من طرف الفنان لآراء جون جاك روسو وغيره ممن ساهموا فى عزل الانسان عن عرشه عن حسن نية ربما •

إن عالم مطيمط ذكرنى بعالم أندرى جيد فى كتابه « الأغـذية الأرضيـة » فكأنما أصبح مطيمط هو « ناتانائيل » فى رحلاته المشردة وتأملاته فى الطبيعة من حوله وإيمانه بحتمية الاندماج فى رحابتها وقوتها وبعثها • فمطيمط مثل « ناتانائيل » يرتاح للالوان والانعكاسات ،ونحن بدورنا نرتاح لتفاؤل أندرى جيد كما نرتاح لرسوم مطيمط •• فعالم الأغنية الأرضية يدعوك أن تحلم وأن لا تطرح على نفسك الأسئلة المفتعلة •• أن لا تجعل من الفلسفة وحدها ومن العلم وحده قواما للوجود ، بل أن تكون ذاتك أيضا من هذا الكيان الزاخر ، المرحب بك أبدا ••• الجاهز لاقتبالك واسعادك : « الطبيعة » •

شىء آخر يشير الى أصالة مطيمط ، هو احساسنا عندما ننظر احدى لوحاته مثلا فنقول : هذا مشهد عند الفجر ، وذلك عند الضحى ، والآخـر فى أثنـاء الغسق والرابع لدى الظهيرة • فالفنان بفضل لمساته الدقيقة العفوية يوحى بالزمن ، دون أن يدرك الناقد سر هذا الايحاء بطريقة تحليل اللوحة أو تفسير عناصرها وأشكالها ••• فالحضور الزمنى هو الذى يمنح أيضا هذه الأعمال كيانها التقليدى ، دون أن ينتزع منها إبداع المعاصرة من حيث هى تمنح كمـا ذكرنا الغفوة بعد اليقظة ، بفضل توقها للتجريد •

توجد عبر اللوحات بعض مشاهد النساء العاريات كلوحة « إغتسال رقم 69 » حيث يرسم مطيمط حركة الماء وبرودته ونعومته فوق الجسد الواقف ، فيبدو المشهد رغم بساطته حيا نابضا ••• جميلا • كما أنه لفتت نظرنا اللوحـات رقم 14 و 43 و 37 وهى مشاهد من مدينة القيروان ، هناك تشابه كبير بينها وبين ما قيل فيها وعنها من الشعر ••• فالقيروان تمتاز فى لوحات مطيمط بذاتها التاريخية (المئذنة ، الأسوار) وما عدا ذلك فأمتداد سهوب الـوسط التونسى والجفاف المتواصل والمساحات الفارغة الجرداء ••• ولعل من بعض معجزات الفن أن تكون لكل فنان قيروانه ، تعيش فى فكره ، غيـر قيـروان المهندس الفلاحى وغير قيروان رجل التخطيط •

إن معرض مطيمط فجر فينا هذه الاحاسيس ، وذلك جزم بقيمته دون شك ، رغم انحصاره فى لون واحد دون استغلال طاقات الذات الاخرى • والمعـرض أيضا إشارة لسلامة تفكيرنا الفنى ، فهو بعيد عن التعقيد ، يكشف لنا عمقا من أعماق تونس وبعدا من أبعاد هذا الوطن : « نزوعنا الفطرى للحلم » لا الحلم المخدر ، بل الحلم الذى يفصل بين فترتين من التفكير ، ويجعل الحيـاة أكثـر جمالا وأقرب للحق والخير والكمال •

أحمد القديدى